

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾
المسيح عليه السلام
ورسالته في القرآن
تأليف
الأستاذ الدكتور / محمد سيد أحمد المسير
مكتبة الصفا
١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
٣٦٨٤٦٠٤ - ٠١٠١٤٣١١١٤



تأليف

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ٩٩/١٤١٧٢

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد :

يتواصل الحوار الإسلامي النصراني منذ نزل القرآن المجيد كاشفًا حقائق الوحي الإلهي ، ومهيمنًا على ما سبق من كتب بالحق الصراح والحجة البالغة والقول الفصل في قضايا الألوهية والنبوة واليوم الآخر ، ومناهج مسيرة الحياة الإنسانية الرشيدة .

وتنقل هذا الحوار عبر العصور والأجيال ، يشارك فيه كل جيل بعلماء وحكماء ، ويتمخض عن كنوز ثمينة وكتب قيمة . .

وقد ساهمنا ـ بتوفيق الله تعالى ـ في هذا الحوار بجهد المقل ، وقدمنا ثلاثة كتب هي :

- أصول النصرانية في الميزان .
- أوربا والنصرانية .
- المسيح ورسالته في القرآن .

وقد شرحنا قصة هذه المساهمة في مقدمة الكتاب الأول .

ونحن اليوم نقدم كتاب « المسيح ورسالته في القرآن » في طبعة جديدة ، متضمنًا ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

مفاهيم قرآنية في مواجهة التضليل التبشيري

إن المجادل النصراني عندما يضيق ذرعًا بالأدلة الدامغة على فساد عقيدته ينتقل في محاولة يائسة إلى الاستشهاد بآيات القرآن المجيد على دعواه حول مريم والمسيح والإنجيل ، ويلوي النصوص كي تخدم أغراضه التشكيكية .

فجاء هذا المبحث ليؤكد مجموعة حقائق ، منها :

ـ إن المسيـح عليه السلام كـلمة الله ، بمعنى أن الإرادة الإلهـية العليـا تمحضت فـيه ، وخرقت له النواميس العامة للتوالد بين البشر ، وشاء الله أن يكون فكان . . .

والتعبيـر عن المفعول بالمصـدر شائـع في لغـة العـرب ، فهـو كلمـة بمعنى متكلم به.

ـ إن إسلام الأنبياء السابقين وأتباعـهم هو إسلام الوجه والقلب لله رب العالمين ، فالله تعالى يُعبد في كل زمان بما شرع لذلك الزمان ، وأما الإسلام الذي امتنَّ الله به على عباده في قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

[المائدة : ٣]

فهو الدين الخاتم الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين من الإنس والجن ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ـ إن ادعاء الإيمان ببعض الأنبـياء والكفر بالبعض الآخر هو ادعاء خـادع مخادع ، وهو إنكار للدين كله ، وتكذيب للأنبياء جميعًا ، وكفر بالله الواحد الأحد . . .

ـ إن أتبـاع المسيح هم الذين آمنوا بعـيـسى عليه السـلام عبـدًا رسولاً وبشـرًا نبيًا قـبل الإسلام، وهم المسـلمون بعد البـعثـة المحمدية ، من مـنطلق أن المسلمين أولى بكل نبي، لإيمانهم بالأنبياء جميعًا بلا تفريق، على الوجه الصحيح بلا تحريف .

ـ إن أهل الكتاب من الـيهود والنصـارى فقدوا الإيمان الصـحيح وحـرفوا الوحي المنزل وطمسوا معالم الحـقيقة الإلهية والنبوية في عقيـدتهم ، وهناك طائفة منهم خرجوا عن هذه التقاليد البالية وأعلنوا ولاءهم للرسالة المحمدية .

المبحث الثاني : **القصص الحق** .

وهنا نقدم حـديث القرآن الذي لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلـفه حول حـياة المسيح ورسالته تحت هذه العناوين :

ـ آل عمران ـ ابن مريم ـ ورسولاً إلى بني إسرائيل

ـ مائدة من السماء ـ ورافعك إليّ ـ ومبشرًا برسول

ـ ثم نبتهل ـ حكم الله .

المبحث الثالث : **دراسات عن البشائر**

ونبرز هنا جهاد علماء أخلصوا لله ، ونقبوا عن بشائر النبوة المحمدية في الكتب السابقة

وانقلبوا سجدًا قائلين :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) ﴾ . [المائدة : ٨٣ ، ٨٤]

وقد اخترنا من تلك الدراسات ثلاثًا هي :

١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

للإمام ابن تيمية (٦٥١ ـ ٧٢٨ هـ) .

٢ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .

للقس إنسلم تورميدا ، الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي في القرن التاسع الهجري .

٣ ـ إظهار الحق .

للعلامة الشيخ رحمة الله الهندي (١٢٣٣ ـ ١٣٠٨ هـ) .

ثم قدمنا نماذج لرجال من الصدر الأول للإسلام فاضت أعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق وأعلنوا إسلامهم بناء على تلك البشارات ، ومن هؤلاء :

ـ ورقة بن نوفل الذي قال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عقب اللقاء الأول للوحي: أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك . .

ـ نجاشي الحبشة الذي أعلن أمام وفد قريش والمهاجرين إلى الحبشة بإسلامه قائلاً : أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم .

ـ عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود في العهد النبوي الذي واجه قومه قائلاً : إني أشهد بالله أنه النبي الذي تجدونه مكتوبًا في التوراة والإنجيل .

ـ سلمان الفارسي الذي ترفع عن المال والجاه ، وتحمل البأساء والضراء بحثًا عن الحقيقة التي أوصاه بها أسقف عمورية قائلاً :

إنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض

بين حَرّتين ، بينهمـا نخل ، به علامات لا تخـفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصـدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة .

هؤلاء الأوفيـاء كانوا حجة على المكذبين الذين آثروا مـتاع الحياة الرخـيص ورضوا بأن يظلوا سدنة الباطل وأعداء الحق . .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِيـــنَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾. { الإسراء : ١٠٧ : ١٠٩ }

القاهرة في : ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠ هـ .
٢٢ / ٨ / ١٩٩٩ م

أبو حذيفــة
د . محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة ـ كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

* * *

المبحث الأول:
مفاهيم قرآنية
في مواجهة التضليل التبشيري

الدفاع الأخير .

كلمة الله .

ونحن له مسلمون .

من آمن بالله واليوم الآخر .

فوق الذين كفروا .

أهل الإنجيل .

* * *

الدفاع الأخير

ضاقت السبل العقلية على صاحبي في فهم عقائد الكنيسة حول المسيح والكتاب المقدس عندهم ، فـانتقل - في مـحـاولة يائسة - إلى الاسـتـدلال من القرآن الكريم على دعـاوى النصارى ومزاعمهم ، وكتب إليّ قائلاً :

وإليك آيات قرآنية تشهد بصحة الإيمان المسيحي ، ومتناقضة مع بعضها :

١- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .
[آل عمران : ٥٩]

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ . [آل عمران: ٤٥]

التفسيـــر :

في الآية الأولى خلق الله عيسى كماخلق آدم من تراب.

وفي الآية الثانية تكلم الله في مريم بنشأة المسيح.

والملاحظة أن «كلمـة منه» هي مؤنث و «اسمـه» مذكر، ويدل ذلك عـلى أن المسيح هو كلمة الله، فكيف يكون خلقه ويكون كلمته في مريم اسمه المسيح؟

٢- ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . [آل عمران: ٥٢]

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
[آل عمران: ٦٧]

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . [الأنعام: ١٤]

التفسيـر :

فإن قلت إن التسليم لله يعتبـر إسلامًا قلنا ولكن الإسلام دين معين بدليل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ . [آل عمران: ٨٥]

وإذا كان مـحمد أول من أسلم، وأن الإسـلام لم يكن معروفًا قبـله فكيف كان إبراهيم وذريته والمسيح وحواريوه مسلمين؟

٣- ما الداعي لهذه الدعوة الإسلامية إذا كنا نحن النصارى مؤمنين فقد قال القرآن:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾. [البقرة: ٦٢]

وإذا لم يكن المسيحيون مؤمنين وكانوا مشركين، فكيف يعدهم الله بالجنة والأجر والثواب؟

٤- أكد القرآن صريحًا أن الذين اتبعوا المسيح مؤمنون، ولهم امتياز خاص على غيرهم ممن لم يتبعوه فقال:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾. [آل عمران: ٥٥]

٥- حض القرآن أتباع عيسى على التمسك بإنجيله فقال:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾. [المائدة: ٤٧]

وأمر الله محمدًا بالرجوع إلى اليهود والنصارى فيما استغلق عليه من آيات القرآن فقال:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾.

[يونس: ٩٤]

فكيف يقول ذلك وهم غير مؤمنين به ، ومحمد شاك في رسالته؟

وهل يمكن أن يستشهد الله بما يعلم أنه مزيف وبه تزوير؟

* * *

كلمــة اللـه

يفسر النصــارى «الكلمة» تفسيراً لا يخضع لمنطـق ولا يقبله عقل، ولا يسلم به إلا عند فقد الوعي. .

وهذا هو مفتتح إنجيل يوحنا :

« في البدء كان الكلمة.

والكلمة كان عند الله.

وكان الكلمة الله.

كل شيء به كان.

وبغيره لم يكن شيء مما كان .

فيه كانت الحياة.

والحياة كانت نور الناس.

والكلمة صار جسداً وحل بيننا».

هذا الطلسم الكنسي يمثل صلب العـقيدة النصرانيـة المحرفة، والعجب العـجاب هو أن يحاول النصارى تلمس تأييد لها من نصوص القرآن العظيم في مثل قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيــــسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾. [آل عمران: ٤٥]

ولبيان ذلك نقول :

أولاً : الكلمة في اللـغة العربيـة هي اللفظ الموضوع لمعنى، وتنقـسم إلى اسم وفعل وحرف، وقد تطلق الكلمة على الكلام المفيد قل أو كثر.

قال ابن مالك في ألفيته :

كلامنا لفظ مفيد كاستقـــم   واسم وفعل ثم حـرف الكلم

واحده كلمة ، والقول عـــم   وكلـــمة بها كلام قد يــؤم

واستعمل القرآن المجيد الكلمة وجمعهــا مرات متعددة وفي أكثر من دلالة، فأحيانا يراد

بها الكلمة الكونية التي هي إرادة الله -عز وجل- ومشيئته في خلقه مثل قوله تعالى:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾. [الأعراف : ١٣٧]

وأحيانا يراد بها الكلمة الشرعية التي هي الأمر والنهي، قال تعالى:

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾. [البقرة: ١٢٤]

وقد تطلق الكلمة على علم الله تعالى كما في قوله:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) ﴾. [الكهف: ١٠٩]

وقديعبر بها عن الدين صحيحًا كان أو فاسدًا، كما في قوله جل شأنه:

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾. [التوبة: ٤٠]

وقد تساق الكلمة للدلالة على الوعد أو الوعيد، كما في قوله سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾. [الصافات: ١٧١- ١٧٣]

وكما في قوله جل شأنه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) ﴾. [غافر: ٦]

واستعمل القرآن الكلمة في معناها اللغوي فقال:

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾. [الكهف: ٤-٥]

ثانيًا: لقد ورد التعبير عن المسيح عليه السلام بأنه الكلمة في موضعين:

الأول في سورة آل عمران والآخر في سورة النساء، وفي كلا الموضعين يبرز السياق القرآني عبودية المسيح لله وبشريته المطلقة.

فقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾.

هذا النص سبقه الحديث عن آل عمران وما أحاط بمريم في نشأتها، وكفالة زكريا لها،

إلى أن ساق القرآن خضوع مريم لربها وسجودها لله مع كافة المؤمنين الموحدين حتى تحظى بشرف الدنيا والآخرة، قال جل شأنه:

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾. [آل عمران: ٤٣]

ولعل في التعبير مع الراكعين مايزيل لبس اختصاص مريم بموقف فوق طور البشر أو بمكانة تعلو مكانة الإنسان، بل هي مع الراكعين.

ثم يتلوا ذلك تبشير الملائكة لمريم بما أعده الله لها من الكرامة حيث حملت بعيسى دون أن يمسها بشر، فلما ارتابت في الأمر وتعجبت قيل لها:

﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾. [آل عمران: ٤٧]

فالأسباب والمسببات مرهونة بإرادة الله عزوجل، ولو شاءغير ذلك لكان، وماحدث لمريم من خوارق العادات إنما هو امتداد لسلسلة الاصطفاء الإلهي قبل مريم وبعدها.

ثم تواصل الآيات الحديث عن تكريم الله لمريم ووليدها حيث كلم الناس في المهد وكهلا وتحمل رسالة التوحيد الخالص لبني إسرائيل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) ﴾. [آل عمران: ٥١]

فعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، بشر من سلالة بشرية لها من صدق اليقين ونقاء التوحيد ما جعلها محل الاصطفاء الإلهى.

وفي سورة النساء نقرأ قوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾. [النساء: ١٧١- ١٧٢]

ألا ترى كيف وردت الصفة ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ في سياق واضح وقوي يكفر النصارى في عقائدهم الزائغة ومعتقداتهم الباطلة، وينفي عن الله الولد، ويثبت لله سبحانه الملك والملكوت، ويؤكد أن عيسى عبد الله ورسوله.

ثالثًا: وجه تسمية عيسى ابن مريم بالكلمة يبدو أكثر وضوحا الآن، فقد تمحضت فيه

الإرادة الإلهية الـعليا، وخرقت له النواميس العـامة للتوالد بين البشـر، وشاء الله أن يكون فكان.

والتعبـير عن المفعول بـالمصدر شائع في لغة العـرب، فهو كلمة بمعنى مـتكلم به، قال تعالى في إشارة عامة للكون كله:

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾. [لقمان: ١١]

فعبر بالمصدر وهو ﴿ خَلْقُ اللَّهِ ﴾ عن المفعول وهو مخلوق الله.

وقد يأتي في لغة العرب الوصف بالمصدر بدلاً من اسم الفاعل أو الصفة المشبهة للمبالغة فيقال: فلان عدل وكرم بمعنى عادل وكريم.

فالكلمة في حق عيسى أوْفَي وأجدر حيث تكلم في المهد، فهو كلمة بمعنى متكلم.

ولا شك أن البشر جميعا والكائنات كلها بإرادة الله وكلمته التكوينية ﴿كن فـيكون﴾، ولكن عـيسى خص بكونه كلمـة الله أو روح الله تشـريفًا وتكريمًا؛ فالإضـافة على مـعنى الاصطفاء كما في إضافات كثيرة من هذا القبيل مثل بيت الله، ومساجد الله، وناقة الله.

وما أبداه صاحـبي من ملاحظة أن ﴿كلمـــة منه﴾ مؤنث، والهاء للمـذكر في قوله ﴿اسمه﴾، واستدلاله بذلك على أن المسيح هو كلمة الله فكيف يكون خلقه ويكون كلمته، فهو من الفهم السقيم والاستدلال الخاطئ.

فمن المشهور لغة أن الضمير قد يعود على اللفظ وقد يعود على المعنى، فلفظ ﴿كلمة﴾ مؤنث مجازى لحقـته تاء التأنيث لفظا لكن معناه مذكر حيث أطلق علـى وليد مريم عيسى عليه السلام، فيجوز أن يقال اسمه وأن يقال اسمها.

وهذا كثير شائع في التأنيث والتذكير، والإفراد والجمع، ومثاله في الأخير لفظ «من» قد يعود الضمير إليـه مفردًا حسب اللفظ وقد يعود جمعا حسب المعنى، وقـد استعمل القرآن هذين الإتجاهين:

قـال الله تعـالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ﴾. [الكهف: ٨٨]

فالضمير في «له» عائد على «من»، وقد عاد مفردًا.

وقال جل شأنه :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . [المائدة: ٤٤]

فاسم الإشارة والضمير عائد على «من» وقد عاد كل منهما جمعا.

ووقع هذان الاتجاهان في آية واحدة مثل قوله سبحانه:

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ . [الجن: ٢٣]

فقد لوحظ لفظ «من» فعاد الضمير في «لـه» مفردًا، ولوحظ معناه فوقع الحال جمعًا في قوله «خالدين».

* * *

ونحـن لـه مسلمـون

وصف القرآن الكريم الأنبياء السابقين بالإسلام وسـمى أتباعهم مسلمين وذلك في كثير من آياته.

فنوح عليه السـلام دعا قومـه إلى التوحيد وإفـراد الله بالعبادة، وأعلن أمـامهم حقيـقة الرسالة التي يتحمل أمانة تبليغها، فقال:

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢]

وإبراهيم الخليل كان حنيفا مسلما، قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. [آل عمران: ٦٧]

وعندمـا رفع إبراهيم وإسمـاعيل القـواعد من البـيت اتجهـا إلى الله بدعاء ضـارع بأن يجعلهما وما تناسل منهما مسلمين له:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾. [البقرة: ١٢٨]

وظل الحرص على الإسـلام لله قائمًا في قلب إبراهيم عليه السـلام حتى جعلها وصـية وكلمة باقية في عقبه، وتعاهد أبناءه على الحفاظ عليها والوفاء بها، فقال سبحانه:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾. [البقرة: ١٣٢]

وحفظ الأبناء وصية أبيهم وساروا على منواله فنقلوها إلى من بعدهم.

فقال جل شأنـه:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيـــهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْمَاعِيـلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾. [البقرة: ١٣٣]

وعندما مكن الله تعالى ليوسف في الأرض، وجعله على خزائن مصر، وتحققت رؤياه،

والتقى بأهله أجمعين بعد انقطاع طويل - كان دعاؤه، الذى توج حياته كلها:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾. [يوسف: ١٠١]

وملكة سبأ عندما قدمت على سليمان وأشرق نور الإيمان في قلبها قالت:

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾. [النمل: ٤٤]

وأنصار عيسى الذين ثبتوا معه قالوا:

﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾. [آل عمران: ٥٢]

فيا ترى ما الإسلام الذي التقى عليه جميع الأنبياء؟

إن الإسلام بمعناه العام هو الاستسلام لله عز وجل، والانقياد لطاعته والالتزام الكامل بمنهج الدعوة التي وجهها الله إلى البشر على لسان رسله في كل زمان ومكان. . .

وقد التقت الرسالات كلها على أصول العقيدة والعبادة والأخلاق، فكل نبي دعا قومه إلى التوحيد الخالص . . قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ .

[الأنبياء: ٢٥]

واشتركت العبادة والأخلاق في إطارها العام بين جميع الرسل. . قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾. [البقرة: ٨٣]

وهذا المعنى هو المشار إليه في قول رسول الله ﷺ: **«نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات[1] ، ديننا واحد»**.

وما وراء ذلك من تفصيلات الأحكام والعبادات والشرائع فتلك قضية تخضع لظروف الزمان والمكان، فما يصلح لأمة قد لا يتناسب مع أمة أخرى، بل ما يصلح لأمة في زمن قد لا يستمر لزمن آخر ، والحكمة واضحة في نسخ الشرائع بعضها لبعض، فإن الطبيب

(١) بنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى .

-ولله المثل الأعلى- قد يصف دواء لمريض ولا يصفه لمريض آخر يتشابه معه في المرض، وقد يصف دواء للمريض في وقت دون آخر، ولمدة لا يتجاوزها..

فالله تعالى له الخلق والأمر، وهو أعلم بعباده، وله الحكمة البالغة، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ⁽¹⁴⁾﴾. [الملك: ١٤]

هذا هو المعنى المراد من إسلام الأنبياء وأتباعهم، فهو إسلام الوجه والقلب لله رب العالمين، وليس بمعنى أنهم يتعبدون الله تعالى بشريعة النبي الخاتم محمد ﷺ..

فالإسلام الخاص بدين محمد ﷺ هو علم على الرسالة والشريعة القائمة على القرآن والسنة، والباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

واللفظ قد يستعمل بإطلاقين، يوضح السياق المراد منهما، وهو ما يسمى «المشترك اللفظي»، مثل كلمة «العين»، فإذا قلنا: رأيت بالعين، وشربت من العين، فهل المراد من لفظ «العين» في الجملتين واحد؟!

إن المراد من العبارتين مختلف قطعا، فاللفظ الأول مراد به العين الباصرة، واللفظ الثاني مراد به العين المائية..

وقد وضح الإمام ابن تيمية هذا المعنى وأكده مراراً في فتاواه، فقال: وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟

وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ، المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا.

وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيًا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء..»[1].

وفي موضع ثان يقول:

«وقد قال النبي ﷺ: «**إنا معشر الأنبياء ديننا واحد**» وهو الإسلام وهو الاستسلام للَّه لا لغيره، بأن تكون العبادة والطاعة له والذل، وهو حقيقة لا إله إلا اللَّه..

ولا ريب أن ما سوى هذا لا يقبل، وهو سبحانه يطاع في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان..

---

(١) الفتاوى ج ٣ ص ٩٤ .

فلا إسلام بعد مبعث محمد ﷺ إلا فيما جاء به وطاعته...»[1] .

وفي موضع ثالث يقول:

«وله (لفظ الإسلام) معنيان:

أحـدهـمـا : الدين المشتـرك، وهوعبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعـث به جميع الأنبياء، كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

الثاني : ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج..»[2].

* * *

(١) الفتاوى ج ٥ ص ٢٣٩ .

(٢) الفتاوى ج ٧ ص ٦٣٦ .

من آمن بالله واليوم الآخر

يتساءل صاحبي متعجبًا:

ما الداعي لهذه الدعوة الإسلامية إذا كنا نحن النصارى مؤمنين، فقد قال القرآن: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)** ﴾؟! [البقرة: ٦٢]

وإذا لم يكن المسيحيون مؤمنين، وكانوا مشركين فكيف يعدهم الله بالجنة والأجر والثواب؟!

وأقول: على رسلك يا صاحبي..!!

إن هناك مجموعة حقائق يجب أن تعيها تمامًا حتى يستقيم لك التفكير:

أولاً: إن ضرورة إنسانية كبرى ألحت على ظهور النبي العربي كي يصون للإله قدسيته، ويحفظ للإنسان كرامته، وينقذ البشرية من ضلالها الآثم وسلوكها المنحرف.

وباستقراء واقع العالم يوم بعثة محمد ﷺ لا نجد إلا وثنية مشركة تصنع الإله ليعبده الإنسان..

أو مجوسية أسطورية تتوهم إلهين للخير والشر..

أو يهودية مادية كالحة..

أو نصرانية محرفة تقيم عقائدها على أنقاض العقل، وتزعم أن مملكتها في غير هذا العالم..

وعم الناس فساد أخلاقي، وظلم اجتماعي، واضطهاد ديني، فكان وأد البنات، وحروب الفجار، وانقسم الناس إلى طبقات، وشقي الناس بتسلط القياصرة والأكاسرة.

وجاء أصدق وصف لحال العالم قبل الإسلام في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، [الجمعة: ٢] [1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا « الرسول والوحي » ص ١٦٥ ـ ٢٠٢ ط. المؤسسة العربية.

ثانيًا: موقف القرآن المجيد واضح وصريح من عقائد اليهود والنصارى فهم لا يؤمنون بالله الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) ﴾. [التوبة: ٣٠]

وهم لا يدينون بالدين الحق، قال جل شأنه:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾. [التوبة: ٢٩]

وهم منحرفون عن ملة إبراهيم الخليل، قال سبحانه:

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. [البقرة: ١٣٥]

وهم يحرفون التوراة والإنجيل ويفترون على الله الكذب، قال جل جلاله:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾. [البقرة: ٧٩]

وهم لن يدخلوا الجنة ما داموا على كفرهم وعنادهم، قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. [البقرة: ١١١، ١١٢]

واستقصاء ذلك في القرآن يطول كثيرًا.

ثالثًا: الإيمان في عرف القرآن حقيقة شرعية لها مدلولها ومفهومها المحدد الدقيق، وليس لفظًا تختلف حوله الأفهام.

وفي أكثر من آية قرآنية تحدد هذا المفهوم بأنه قائم على الاعتقاد الصادق والجازم بالله ربا واحدًا..

وبالرسل المصطفين الأخيار..

وبالكتب المنزلة لهداية البشر ..

وباليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء..

وذلك كله على الوجه الشرعي المبين في الكتاب العزيز، قال تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ

كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

[البقرة: ٢٨٥]

وواجه القرآن اليهود والنصارى بهذه الحقيقة، وأمرهم باعتقادها والإقرار بها والتسليم لها فقال:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾. [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]

فإذا أطلق لفظ الإيمان فهو محمول على هذه الحقيقة، لأنه من غير المعقول أن يؤمن إنسان بالله ويكفر برسله، أو يؤمن بالله ورسله ويكفر بواحد منهم.

فقد حكم القرآن على مثل هذا الإيمان بأنه أشد أنواع الكفر، فقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. [النساء: ١٥٠ - ١٥٢]

رابعًا: على ضوء هذه الحقائق نفهم الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾. [البقرة: ٦٢]

فالذين آمنوا هم أتباع الرسالات السابقة يوم نقائها الأول من غير تحريف أو تبديل، والذين ظلوا متمسكين بدينهم تمسكا صحيحا، كما قال الله تعالى:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾. [آل عمران: ١١٣]

والذين هادوا هم اليهود الذين يزعمون أنهم على شريعة موسى عليه السلام وهو منهم براء.

وحيث أطلق لفظ اليهود في القرآن الكريم فهو يعني الجماعة الضالة المنحرفة الذين جحدوا آيات الله واستكبروا بغير الحق.. كما قال جل شأنه:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾. [المائدة: ٤١]

وقال سبحانه: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾. [النساء: ١٦٠-١٦١]

والنصارى هم أدعياء الولاء لعيسى عليه السلام، وحيث أطلق هذا اللفظ في القرآن فهو يعني الذين حرفوا واتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله... أو اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا.. أو قالوا إن المسيح ابن الله أو ثالث ثلاثة.

ولكن حيث يراد منهم أصحاب الولاء الحق لدين المسيح فهم أنصار الله أو الحواريون.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ... ﴾. [البقرة: ١١٣]

وقال جل شأنه :

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾. [آل عمران: ٥٢]

والصابئون هم عبدة الكواكب والنجوم، أو بقايا ملة إبراهيم الخليل، أو أهل فترة باقون على فطرتهم لا دين لهم محدد يتبعونه..

هؤلاء جميعًا مؤمنهم وكافرهم، من كان على ملة صحيحة أو فاسدة مدعوون لتلبية نداء الله في رسالته الخاتمة التي بعث بها محمدًا ﷺ وعليهم أن يصححوا إيمانهم أو يجددوه وفق مفاهيم القرآن المجيد، ويلتزموا بشريعة الإسلام. وذلك أن قوله تعالى: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾، قد جمع طرفي الإيمان وهو الابتداء بالله والانتهاء باليوم الآخر، وما بينهما معلوم مؤكد، وهو حسب مفهوم القرآن يشمل ضرورة الإيمان بالرسالات جميعا والكتب كلها والملائكة الأطهار.

والإخلال بأي جانب من هذه الجوانب هو إخلال بحقيقة الإيمان المراد شرعًا..

وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب كثيراً، وعلى سبيل المثال نقرأ في وصف مزاعم المنافقين:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾. [البقرة: ٨-٩]

فالتعبير بقوله «آمنا بالله وباليوم الآخر» لا يعني مطلقا الاقتصار على هذين الجانبين والكفر بما سواهما، وإلا فهو مردود قولاً واحدًا ولا يمكن أن يتقرب به المنافقون إلى المسلمين، لأن مراد المنافقين إظهار ادعائهم الإيمان الشامل لجوانب الألوهية والنبوة والكتاب المنزل واليوم الآخر، واقتصروا في التعبير على البدء والنهاية ليشمل ما بينهما.

ويؤكد هذا المفهوم ما ساقه القرآن على لسان المنافقين تأكيدًا لمزاعمهم حول الإيمان بالرسالة والرسول، في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾. [المنافقون: ١]

ونجد أيضًا أن البـيان القرآني يستـعمل أحيانًا لـفظ الإيمان وحده للتعبـير به عن حقيـقة الإيمان الشامل، مثـل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) ﴾. [الإسراء: ١٩]

فمن غير المعقول أن يبتغي الإنسان مرضاة الله ويعمل للآخرة وهو مؤمن بالله فقط كافر برسله وكتبه وملائكته!!

فقوله: «وهو مـؤمن» تعبير قرآني شـامل لجوانب الإيمان كلها، ولفظ الإيمان له حقـيقة شرعية معلومة من الدين بالضرورة.

فالشـهادة بالرسالة لمحـمد ﷺ هي جزء الإيمان الذي لا يتـجزأ وشقـه الذي لا يبقى الإيمان بدونه.

* * *

فوق الذين كفروا

يقول صاحبي :

أكد القرآن صريحًا أن الذين اتبعوا المسيح مؤمنون ولهم امتياز خاص على غيرهم ممن لم يتبعوه، فقال:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾. [آل عمران: ٥٥]

ونحن نتساءل :

من أتباع المسيح؟

ومن الذين كفروا به؟

إن المسيح في منطق القرآن الكريم عبد الله ورسوله، دعا إلى التوحيد وقال: **﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.** [آل عمران: ٥١]

وكانت دعوته موجهة لبني إسرائيل فآمنت طائفة وكفرت طائفة، وعندما اضطهد المسيح وبلغ العناد من بني إسرائيل ذروته، ووصل العنف إلى منتهاه أراد المسيح أن يطمئن على صدق اليقين ممن أجابوا دعوته:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ؟

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) ﴾. [آل عمران: ٥٢-٥٣]

ووقعت الفتنة وائتمر اليهود بعيسى ليقتلوه ولكن الله نجاه من كيدهم، وجعلهم حيارى فيمن قتلوه:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ﴾. [آل عمران: ٥٤]

ونتيجة هذا الاستمرار في الفساد والإفساد ضربت على اليهود الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وحاقت عليهم اللعنة، ومكن الله النصارى من اليهود فأذاقوهم الهوان ونكلوا بهم على مر التاريخ.

وفي عام سبعين من الميلاد تمكن الامبراطور الروماني «تيطس» من حرق هيكلهم وتدمير أورشليم، وقتل من اليهود ما يقرب من مليون نسمة.

وعاش اليهود بعدها بلا دولة ولا أمة، وتفرقوا أيدي سبأ، وفي كل مكان حلوا فيه تعقبهم النصارى قتلاً وتشريدًا..

يقول بطرس البستاني في دائرة معارفه[1] :

لقى اليهود في انجلترا البلاء الأصم لعهد ملكها ريتشارد الأول، فكان يوم تتويجه سنة ١١٨٩م يوم ذبح لليهود في يورك..

ولم يزل الملوك من بعده يبالغون في تعقبهم إلى أن أجلاهم إدوارد الأول من كل مملكته.

وأصابهم مثل ذلك في فرنسا فطردهم شارل السادس من بلاده.

ولما فشا الطاعون في أوربا (١٣٤٨ - ١٣٥٠م) قام عليهم أهل ألمانيا قومة واحدة فكانوا يسوقون الألوف منهم يقتلونهم ويحرقونهم رجالاً ونساءً، وكبارًا وصغارًا، لزعمهم أن اليهود تسببوا في تفشية الوباء بإلقاء السم في المياه.

وذبحوا في أكثر مدن أسبانيا سنة ١٣٩١م، وفي سنة ١٤٩٣م طردوا منها فجلت ٧٠,٠٠٠ عائلة منهم إلى البرتغال، فكان هذا الجلاء وبالا عليهم،كما أجلاهم الملك عما نويل سنة ١٤٩٥، واستبقى قسرًا أولادهم من بني (١٤) عامًا فأقل، وأرسلهم إلى الجزر القاصية ينشأون على الديانة المسيحية.

فكثر في تلك الأثناء عدد اللاجئين من اليهود إلى الممالك العثمانية، وذهب فريق منهم إلى بولونيا..»

وفي العصر الحديث قذف بهم هتلر الألماني في الأفران ونكل بهم تنكيلاً قضى على الملايين من اليهود.

وعندما أراد النصارى أن يكفروا عن خطيئتهم في حق اليهود على مر التاريخ اقتطعوا أرضا عزيزة من أرض الإسلام في فلسطين ومنحوها لليهود كي يقيموا دولة يجمعون فيها

(١) نقلاً عن كتاب «اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية» للشيخ كمال محمد عون ص٨٠ ط الشعب سنة ١٩٦٩ م.

شذاذ الآفاق، فقامت إسرائيل سنة ١٩٤٨م على أساس من وعد بلفور الصادر سنة ١٩١٧م، وما زالت الحماية النصرانية لإسرائيل من دول أوربا والولايات المتحدة ولولا هذا الحبل من النصارى والدعم من الاستعمار الصليبي ما قامت إسرائيل ساعة واحدة..

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾. [الشعراء : ٢٢٧]

وهذا المعنى في فهم الآية الكريمة قال به أئمة أعلام في الفكر الإسلامي منذ قرون، فالإمام الرازي في تفسيره يقول:

«الذين اتبعوا دين عيسى يكونون فوق الذين كفروا به، وهم اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة، فيكون ذلك إخباراً عن ذل اليهود، وأنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة.

فأما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، وأما بعد الإسلام فهم المسلمون.

وأما النصارى فهم وإن أظهروا من أنفسهم موافقته فهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث إن صريح العقل يشهد أنه عليه السلام ما كان يرضي بشيء مما يقوله هؤلاء الجهال.

ومع ذلك فإنا نرى أن دولة النصارى في الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود، فلا نرى في طرف من أطراف الدنيا ملكًا يهوديًا ولا بلدة مملوءة من اليهود، بل يكونون أين كانوا بالذلة والمسكنة، وأما النصارى فأمرهم بخلاف ذلك»[1].

هذا ما قاله الإمام الرازي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ، ولم يكن على عهده ملك يهودي ولا بلدة مملوءة من اليهود..

ونلحظ أنه فسر الذين اتبعوا المسيح بأنهم أصحاب الإيمان الحق في شأن عيسى قبل الإسلام وأنهم المسلمون بعد البعثة المحمدية من منطلق أن المسليمن أولى بكل نبي من أنبياء الله عز وجل، فهم يؤمنون بالأنبياء جميعًا بلا تفريق، على الوجه الصحيح بلا تحريف ولا تبديل.. كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [آل عمران: ٦٨]

(١) التفسير الكبير ج ٨ ص ٧٧ .

وإلى هذا الاتجاه ذهب أيضا الإمـام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وقال: «فلما بعث الله محمداً ﷺ فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض إذ قد صدقـوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم علـى الإطلاق، الذي دعاهم إلى التصديق بجـميع الحق، فكانوا أولي بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته بما قد حرفوا وبدلوا.

ثم لو لم يكن شيء من ذلك (أي التحـريف والتبديل) لكان قد نسخ الله شريعـة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا يزال قائمًا منصوراً ظاهراً على كل دين.

فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغـاربها واحتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وسلبوهما كنوزهما، وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عزوجل في قوله:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾. [النور: ٥٥]

ولهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقـا سلبوا النصارى بلاد الشام وألجأوهم إلى الروم، فلجأوا إلى مدينة القسطنطينية ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة.

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أمـته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينيـة، ويستفيئون ما فـيها من أموال، ويقـتلون الروم مقتلة عظيـمة جداً لم ير الناس مثلهـا ولا يرون بعدها نظيرها»(١).

وفي تفسير ابن كثير هذا نرى تأكيداً لنقطتين مهمتين :

الأولـى : أن المسلمين هم الموعودون بأن يكونوا فوق الذين كفـروا مطلقًا يهوداً كفروا بعيسى أو نصـارى غلوا في شأنه وقد تحقق ذلك في الفـتوحات الإسلاميـة التي تلت عهد النبوة.

الثانية : إن المسلمين وإن أصابهم وهن في فترة عارضة من فترات التاريخ فهم موعودون

(١) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٦٦ .

آخر الزمان بأن يسودوا تصديقًا للخبر النبوي كما سادوا في أول الزمان تصديقًا للخبر النبوي ذاته.

وسواء قلنا إن أتباع عيسى هم النصارى كما يدعون أو المسلمون كما هو وعد الله فإن الحقيقة التي لم تتخلف يوما هي أن النصارى فوق اليهود، وليس لليهود قوة ذاتية مستقلة.

وليس في هذه الحقيقة ما يمنح النصارى امتيازات دينية تدعم عقيدتهم الفاسدة، وإنما هي سنة الله يسلط ظالمًا على ظالم ثم يقتص بعدله وحكمته من الجميع، كما قال جل شأنه:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)﴾. [الأنعام: ١٢٩]

* * *

أهل الإنجيل

في محاولة أخيرة يتعلق صاحبي بأوهام يتخيلها حول هاتين الآيتين:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) ﴾. [المائدة: ٤٧]

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾. [يونس: ٩٤]

ويقول: إن الآية الأولى تحض أتباع عيسى على التمسك بإنجيله وإن الآية الثانية تأمر محمدًا بالرجوع إلى اليهود والنصارى فيما استغلق عليه من آيات القرآن.

ثم يتساءل متعجبًا:

كيف يقول القرآن ذلك وهم غير مؤمنين به، ومحمد شاك في رسالته؟!

وهل يمكن أن يستشهد الله بما يعلم أنه مزيف وبه تزوير؟!

والحقيقة التي غفل عنها صاحبي هي أن الآية الأولى من سورة المائدة، وهي من السور التي تعقبت اليهود والنصارى، وكشفت فساد عقائدهم وما يكتمونه من الوحي المنزل، الذي حرفوه وبدلوه.

ولنقرأ مثلاً قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) ﴾. [المائدة: ١٧]

وتمضي الآيات في هذه السورة الكريمة مطالبة أهل الكتاب بضرورة الإيمان بالرسالة الخاتمة التي بعث بها محمد ﷺ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19) ﴾. [المائدة: ١٩]

ثم تسوق السورة مثالاً لتحريف الكتمان لدى اليهود، فقد جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا .

فقال لهم رسول الله ﷺ : «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**».

فقالوا: نفضحهم ويجلدون.

قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة. . فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك.

فرفع يده فإذا آية الرجم.

فقالوا: صدق يا محمد ، فيها آية الرجم.

فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. . .

ونزلت الآيات تدمغهم بهذا التحريف فقال جل شأنه:

﴿ **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣)** ﴾. [المائدة: ٤٣]

ويعلق الإمام الرازي قائلا:

«هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بتحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حد الزاني ثم تركهم قبول ذلك الحكم.

فعدلوا عما يعتقدونه حكما حقا إلى ما يعتقدونه باطلاً، طلبا للرخصة، فلا جرم ظهر جهلهم وعنادهم في هذه الواقعة من وجوه:

أحدها : عدولهم عن حكم كتابهم.

والثاني : رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل.

والثالث : إعراضهم عن حكمه بعد أن حكموه.

فبين الله تعالى حال جهلهم وعنادهم لئلا يغتر بهم مغتر أنهم أهل كتاب الله ومن المحافظين على أمر الله»[1].

---

(١) التفسير الكبير ج ١١ ص ٢٤٢ .

فعدلوا عما يعتقدونه حكما حقا إلى مـا يعتقدونه باطلاً، طلبا للرخصة، فلا جرم ظهر جهلهم وعنادهم في هذه الواقعة من وجوه:

أحدها: عدولهم عن حكم كتابهم.

والثاني: رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل.

والثالث: إعراضهم عن حكمه بعد أن حكموه.

فبين الله تعـالى حال جـهلهم وعنادهم لئلا يغـتر بهم مغـتر أنهم أهل كـتاب الله ومن المحافظين على أمر الله»[1].

وساقت السورة بعض أحكام التوراة، فقال تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾. {المائدة: ٤٥}

ثم بينت سورة المائدة أن الأنبياء تعاقبوا على بني إسرائيل من بعد موسى حتى جاء عيسى مصدقا للتوراة ومبشراً بمحمد، ولكن أهل الإنجيل طمسوا هذه البشائر، وفسروها تفسيرا يصرفها عن النبي العربي، فطالبهم القرآن المجيد بالرجوع إلى الحق في أمر هذه البشائر فقال:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾. {المائدة: ٤٧}

فهو زجر لهم عن ارتكاب جرائم التحريف والتزوير في الوحي المنزل الذي استحفظوا عليه، ودعوة إلى تحكيم الإنجيل الصحيح.

وتلى ذلك تأكيد الرسالة المحمدية، وبيان موضعها بين الرسالات فهي المهيمنة..

فقال جل شأنه: **﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾.** { المائدة: ٤٨}

وتوجهت الآيات إلى سيدنا محمد ﷺ تثبته على الحق وتطالبه بالحذر من اليهود

(١) التفسير الكبير ج ١١ ص ٢٤٢ .

والنصارى الذين طمست بصائرهم وغشيتهم الضلالة، فقال جل شأنه:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) ﴾. [المائدة: ٤٩]

ودعت السورة أهل الكتاب إلى أمر فيه نصفة، وهو التأمل العقلي المجرد عن الهوى والبدعة.

فماذا يعاب على المسلمين في دينهم؟!

إنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد ولا يفرقون بين رسل الله.. فهلا استجاب أهل الكتاب لدعوة الحق هذه؟!

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) ﴾. [المائدة: ٥٩]

وساقت الآيات بعضا من قبائح اليهود، فهم لا ينزهون الله تعالى عن النقائص، ويسعون في الأرض فسادا، قال سبحانه:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾. [المائدة: ٦٤]

ثم وقفت الآيات تنادي أهل الكتاب بالدخول في الإسلام واتباع الرسول العربي الذي بشرت به أنبياؤهم ووعدتهم -على ذلك- رغد الحياة الدنيا وكرامة الآخرة، فقال جل شأنه:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾. [المائدة: ٦٥-٦٦]

فأهل الكتاب غير مؤمنين الإيمان الصحيح، وقد دعتهم الآية الكريمة إلى الإيمان والتقوى وفق الهدى الإلهي المنزل في ختام الرسالات الإلهية، وطالبتهم بإقامة التوراة الصحيحة والإنجيل غير المحرف ليلتقوا مع ما أنزل إليهم من ربهم وهو القرآن العظيم الذي جاءهم به محمد ﷺ حتى يسعدوا في الأولى والآخرة.

ولن يتحقق إقامة التوراة والإنجيل إلا بالوفاء بعهد الله فيهما بضرورة الإيمان بالنبي الخاتم محمد ﷺ.

وجاءت الآيات التالية تأكيداً لهذه الحقيقة فقالت:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾. [المائدة: ٦٨]

فمعنى «لستم على شيء» أي من الدين والحق والهدى.

وفي التعبير بقوله «أنزل إليكم» تخصيص أهل الكتاب بتوجيه الرسالة المحمدية إليهم فهم أشد الناس حاجة إليها، ولذا وصفتهم الآية في ختامها بالكفر حيث حرفوا التوراة والإنجيل ورفضوا الإيمان بالقرآن المجيد.

ووضحت الآيات بعد ذلك أن إنكار هؤلاء للرسالة المحمدية مصدره الهوي والشهوة وأن لبني إسرائيل تاريخا أسود مع أنبياء الله عزوجل، فقال تعالى: **﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ (٧٠) ﴾.** [المائدة: ٧٠]

فسيقت هذه الآية سلوى لرسول الله ﷺ، فذلك دأبهم في الإنكار والتكذيب للحق والهدى، ولم يكن لهم عهد ولا ميثاق على مدى التاريخ.

ثم عادت الآيات لتفضح النصارى في مزاعمهم حول المسيح ولتحكم عليهم بالكفر الذي يقودهم إلى جهنم وبئس المصير، قال تعالى: **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ**

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [المائدة: ٧٢-٧٣]

وأعلنت السورة حقيقة شخصية المسيح وأنه بشر ولد من امرأة بتول طهرها الله وجعلها وابنها آية للعالمين. قال سبحانه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾. [المائدة: ٧٥]

ودعت السورة أهل الكتاب إلى ترك الغلو في الدين، والبعد عن الهوى والتقاليد البالية.. قال جل شأنه:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾. [المائدة: ٧٧]

ثم تنوه الآيات بطائفة من أهل الكتاب عرفوا الحق فاتبعوه، وآمنوا بالرسالة لمحمد ﷺ بناء على البشائر المدونة في كتبهم، ورفضوا الصمت القاتل، وأعلنوا ولاءهم للدين الجديد..

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) ﴾. [المائدة: ٨٣-٨٥]

وكان ختام سورة المائدة حول دعوة المسيح عليه السلام إلى إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية في أسلوب تقريعي للنصارى.. فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾. [المائدة: ١١٦- ١١٧]

أظن بعـد هذا العرض السـريع لموقف سورة المائدة من أهل الكتـاب يتلاشى كـل ادعاء حول مدح القرآن للنصارى، ويزول كل وهم يتخيله صاحبه أن القرآن يحض النصارى على التمسك بإنجيلهم المحرف وعقائدهم البالية..

ولعل هذا يكون ضوءًا كاشفًا لفهم الآية الكريمة:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) ﴾. [يونس: ٩٤]

فالخطاب في قوله: «فـإن كنت في شك» للرسول والمراد أمته، وهذا أسلوب اسـتعمله القرآن كثيرًا على ملاحظة أن الرسول أبو أمته ومناط قدوتها..

كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾. [الطلاق: ١]

ومن مشهور كلام العرب: إياك أعني واسمعي يا جارة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾. مراد به الذين بحثوا عن الحق وأدركوا صدق البشائر التي يجدونها في التوراة والإنجيل وانطباقها على محمد ﷺ..

وقد أشاد القرآن كـثيرًا بهذه الطائفة التي أقامت على الحق، واتخـذ من إيمانها بالرسول الكريم حجة على اليهود والنصارى.

فقال جل شأنه:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) ﴾. [الرعد: ٤٣]

وفي آية أخرى يقول سبحانه:

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾. [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩]

وفي سورة أخرى يقول جل شأنه:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) ﴾. [الأحقاف: ١٠]

فقد كانت البشائر بالرسالة المحمدية سبب إيمان كثير من اليهود والنصارى منذ صدر الإسلام وإلى اليوم والغد بعده..

وعلى سبيل المثال:

نجد سلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، ونجاشي الحبشة، وزيد بن سعنة في صدر الإسلام..

ونجد القس انسلم تورميدا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي الذي كان مفتاح إسلامه كلمة «الفار قليط» وألف كتابا سماه « **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** » في القرن التاسع الهجري..

وحسبنا اليوم القس المصري إبراهيم خليل فليبس الذي أسلم وأصبح الحاج إبراهيم خليل أحمد، وألف كتابا بعنوان «**محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن**».

فليس المراد من الآية الكريمة إثبات الشك لرسول الله، بل المقصود هو تأكيد صدق البشائر على الرسالة المحمدية.

والغرض ـ كما قال الإمام الزمخشري ـ وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله، لا وصف رسول الله بالشك فيه »[1].

ومن فقه اللغة أن الأمر لا يقتضي سابقة ترك، فقولك لشخص: اجتهد لا يعني أنه مهمل، وأن النهي لا يقتضي سابقة فعل، فقولك لشخص: لا تأكل الربا، لا يعني أنه واقع في الربا، وأن الشرط لا يقتضي وقوع مضمونه فقولك لشخص: إن سافرت تجد سعة في الرزق، لا يعني أنه مسافر فعلاً. وهكذا، فقوله تعالى: ﴿ **فإن كنت في شك**﴾ لا يعني وقوع الشك من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ٢٥٣.

المبحث الثاني

القصـــص الحـــق

آل عمران.

ابن مريم.

ورسولا إلى بني إسرائيل.

مائدة من السماء.

ورافعك إليَّ.

ومبشرًا برسول.

ثم نبتهل.

حكم اللَّه.

* * *

آل عمران

في القرآن المجيـد سورة تسمى «آل عمران» وهي الثالثـة في ترتيب المصحف الشريف، نزلت بعد الهجرة، وآياتها مائتان. . .

والآيات المتعلقة بآل عـمران بدأت بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

[آل عمران: ٣٣-٣٤]

وآل الرجل -في اللغـة- أهله وعيالـه، ولاتستعـمل كلمة الآل إلا فـيمـا له شرف ولو ادعاء. . . وعلى هذا لا يرد قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، فهو من قبيل التهكم بهم. .

والمراد بآل عمران امرأته وما تناسل منها ممن لهم الذكر والاصطفاء، وهم مريم وعيسى عليهما السلام، وعمران أبو مريم هو غير عمران والد موسى وهارون عليهما السلام، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة كما ذكر ذلك الزمخشري[1].

والآيات هنا تتحدث عن رغبـة نفسية لامرأة عمران في إنجـاب الولد، فلما حملت بعد طول يأس تمنت أن يكون وليدها ذكرًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي أنها رغبت في وليد ذكر، ولتأكيد رغبتها نذرته لخدمة بيت المقدس، وما كانت الخدمة يومئـذ إلا للغلمان، ومعنى «محررًا» أي معتقـا لخدمة بيت المقدس لا سلطان لها عليه، بل هو متفرغ لعمارة البيت وعبادة الله فيه.

وظاهر النص وفحوى الحوار مع امرأة عمران دون حديث عن عمران نفسه يدل على أن عمران مات أثناء الحمل، ولذلك جاءت القصة مرتبطة بهذه المرأة الطاهرة.

ويشاء الله أن تحين لحظة المخاض وتضع أنثى فقالت في ندم:

﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٤٢٤ .

أي أن نذرها لن تستطيع الوفاء به، ولن يتحقق أملها في إنجاب الذكر.

ولكن حكمة الله بالغة:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾.

فإن الله قد رتب على هذه الأنثى من عظائم الأمور، وغرائب الأحوال، ما سيجعلها آية للعالمين..

وهناك ثلاث قراءات في قوله «بما وضعت» وهي:

١- تسكين التاء.

٢- ضم التاء.

٣- كسر التاء.

وفي توجيهها يقول الإمام الرازي:

«قرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر «وضعت» برفع التاء على تقدير أنها حكاية كلامها، والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت: «إني وضعتها أنثى» خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى فأزالت الشبهة بقولها:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

وثبت أنها قالت ذلك للاعتذار لا للإعلام..

والباقون بالجزم على أنه كلام الله، وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنه تعالى قال: «والله أعلم بما وضعت» تعظيما لولدها، وتجهيلاً لها بقدر ذلك الولد، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئًا فلذلك تحسرت.

وفي قراءة ابن عباس «والله أعلم بما وضعت» (بكسر التاء) على خطاب الله لها أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب، والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات»[1].

ويجري في قوله تعالى: «وليس الذكر كالأنثى» كلا الإتجاهين في من القائل؟ فإن جعلناه من حكاية قول امرأة عمران يكون مرادها تفضيل الذكر على الأنثى وأنها لا تصلح لسدانة البيت. وإن جعلناه من تمام قول الله تعالى يكون المقصود تذكيرها بأن الأنثى التي وهبت أفضل من الذكر الذي طلبت.

(١) التفسير الكبير ج ٨ ص ٢٨ .

ولما أفاقت امـرأة عمران من تأمـلاتها وأدركت حقيـقة أمرها، بدأت تتـعامل مع الواقع الذي منحه الله لها فقالت:

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾.

وفي هذا دلالة على جـواز التسمـية للمـولود منذ اليوم الأول، وجـاءفي ذلك أحاديث شريفة في الصحيحين منها قوله ﷺ : «ولد لي الليلة ولد سميته إبراهيم».

وذهب أنس بن مـالك بأخيه حين ولدتـه أمـه إلى رسـول الله ﷺ فحنكـه وسـماه عبد الله.

ومن الخير أن تقـابل النعمة بالشكر، وأن نلجأ إلى الله كي يعصـمنا من الزلل ويحفظنا من الانحراف، ويقينا من شر الوسواس الخناس، ولذلك لجأت امرأة عمران بالدعاء الضارع إلى الله عـز وجل أن يجـعل مريم من الصـالحـات القـانتات، ولم تنـس في تلك اللحظة الروحية أن تمتد آمالها وتسأل الله استـمراراً لنسلها في الصلاح والتقوى فقالت: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾.

واستجاب الله الدعاء وحقق الرجاء :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

فقـد تقبل الله نـذرها، واستثـناها القوم فـقبلوها في خـدمة البـيت المقدس على غـير عادتهم، وكـلأها الله بعنايته فـشبت في الصـلاح والعفاف، وتنافس عليـها أحـبارهم كي يكفلوها، فـجعلها الله في كـفالة زكـريا عليه السـلام، وهو زوج أختهـا أو خالتـها على اختلاف الروايات.

ومكن الله لمريم فأحاطـها بالكرامة فكان زكريا يجـد عندها فاكهة الشتـاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ولما سأل عن سر ذلك أجابته مريم بيقين المؤمنين وإيمان المتقين.

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

* * *

ابن مريم

السورة التاسعة عشرة من سور القرآن العظيم تسمى سورة «مريم»، وقد ذكرت حياة مريم الخاصة وما ارتبطت به من معجزة الحمل بعيسى وولادته من غير أب، وتكريم الله لها ومخاطبتها لروح القدس جبريل ، وما اكتنفها من عجائب الخلق والتدبير.

قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا(١٩)** ﴾.

[مريم : ١٦ : ١٩]

والانتباذ هو الاعتزال والانفراد، وقد إعتزلت مريم أهلها في وقت ما شرقي المسجد أو في موضع تسطع فيه الشمس، يقال تشرق إذاجلس في الشمس.

وقال بعضهم:

«مكانا شرقيا» أي شاسعا متنحيا، فالمراد أنها جلست بعيدة عن أعين الناس، ولعلها كانت في تأمل أو فسحة أو حاجة.

وفي هذا المكان حملت مريم بعيسى عليه السلام من غير أن يمسها بشر لتكون آية للناس على قدرة الخالق الأعظم.

وقد وضحت السورة عدة مواقف يتجلى فيها التدبير الإلهي الأعلى:

الأول: ما عبر عنه القرآن في قوله: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾.

فالروح هنا هو جبريل عليه السلام أرسل إلى مريم البتول ليطمئن فؤادها ويعلمها قبلا بما اختصها الله به من الكرامة، فتمثل لها بشراً سويا لتأنس بحديثه ومحاورته، إذ لو رأته على صورته الحقيقية الملائكية لنالها الفزع الأكبر.

وقولها: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾ يوحى بأنها ارتجفت بشدة عندما فوجئت ببشر في مكان خلوتها وظنت أنه يريدها بسوء فذكرته بالخوف من الجليل، ونبهته إلى بقية إيمان قد تمنعه من اقتراف الفاحشة.

هنا فاجـأها بحقيقـة الأمر، وهي أنه ملك مرسل إليهـا من قبل الله تعالى ليخـبرها بما اختصها الله تعالى به من الكرامة، فاستسلمت مريم لقضاء الله ومشيئته العليا .

الثـــاني : وقد عبّر القرآن عن حـمل مريم بنفخ الروح فيها كمـا جاء في قوله تعالى :

﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا** ﴾ . [الأنبياء : ٩١]

وبنفخ الروح فيه كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا** ﴾ . [التحريم : ١٢]

والضميـر في الموضعين ليس عائدًا على الفرج وإنما هو يعود على مـريم أو على عيسى عليهما السلام ، والمراد بـكلا التعبيرين حمل مريم وإحياء الجنين في رحـمها ، فالنفخ هو بث الحياة في عيسى عليه السلام ، وعاد الضمير مؤنثًا في سورة الأنبياء لأن عيسى في بطن مريم ، فنزل النفخ في عيسى منزلة النفخ في مريم . وعاد الضمير مذكرًا في سورة التحريم على الظاهر من نفخ الروح في عيسى .

ومعنى « من روحنا » أي منحناه روحًا أي حياة من خلقنـا ، كما قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ . [ص : ٧٢]

الثـــالث : وجمهور العلمـاء على أن حمل مريم بعيسى كان حملاً يشـبه حمل سائر النساء، استغرق تسعة أشهر حتى يشيع الخبر وتمتحن النفوس ، ويعظم الأجر لمريم بصبرها ومكابدتها .

وقوله تعالى : ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣)** ﴾ . [مريم : ٢٢ ، ٢٣]

يؤكد أن الحمل طبـيعيًا كسائر الأحمال ، وعنـدما استشعرت مريم عليـها السلام بوادر الحمل توارت خـجلاً من قومـها واعتـزلت في مكان بعيـد، ولما أتمت مدة حملهـا جاءها المخاض وآلام الوضع وتحول الشك إلى يقين ، وصار الحلم حقيقة ، ولهذا قالت : ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ لأنها إن كانت قد استطاعت أن تتوارى أثناء الحمل، فإنها لا تستطيع الآن أن تخـفي وليدها ، ولكن الله تعالى ثبتها وأحـاطها بخوارق العادات الناطقة ببراءتها .

والفاء في الأفعال الثلاثة : فحملته ، فانتبذت به ، فأجاءها المخاض ، وإن كانت في الأصل للترتيب والتعقيب إلا أن تعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ .

{ المؤمنون : ١٤ }

فإن هذه التحولات من العلقة إلى المضغة، إلى العظام، إلى العظام المكسوة باللحم لا تتم في لحظة واحدة ، وإنما تستغرق كل مرحلة أيامًا وليالي كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام في قوله ـ كما رواه البخاري ومسلم ـ :

« إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد » .

وليس هناك نص صحيح يعتمد عليه يفيد أن حمل عيسى ووضعه كان سريعًا أو على غير ما اعتاده النساء .

والقول بسرعة الحمل والوضع هو من غرائب الأخبار .

الرابع : في هذه الحال النفسية المضطربة كان التثبيت من المولى سبحانه: ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾

لقد عاودها جبريل الأمين بعد أن وضعت حملها لكمال شهوره، وطمأنها بأن كفالة الله لن تتخلى عنها، إذ هيأ لها على غير العادة سريا، وهو جدول ماء يجري، ونخلة تتساقط رطبا في غير موعده.

الخامس : كان من الممكن أن يتساقط الرطب بنفسه، وبفعل عوامل الريح وغيرها، ولكن لمزيد تأكيد عناية الله بهذه المرأة العذراء البتول قيل لها:

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ .

فهي فتاة عذراء ما زالت صغيرة السن، وهي نفساء مريضة، ومع ذلك تهز نخلة لا يقدر عليها العصبة من الرجال، إظهارًا لعناية الله بها وكرامته لها وأنه لن يضيعها.

السادس : لم تدر مريم ما تواجه به قومها فأمسكت عن الكلام استجابة لنصيحة جبريل لها: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ .

والصوم في اللغة مطلق الإمساك.

ولما شاع الخبر أخذ الناس يتقولون عليها : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) ﴾ .

والمراد بقولهم «يا أخت هارون» يا من تشبهين هارون أخا موسى عليهما السلام في التقوى والصلاح، فهي من نسله، كما يقال يا أخا الإسلام، أو يا أخا العروبة، أو يا أخا قريش، هنا تدخل القدر الإلهي الأعلى وحسم الموقف حسمًا تاما، فإذا بالصبي الذي في المهد ينطق ببراءة أمه، وبرسالة تنتظره ليعيد الناس إلى الروحانية الخالصة بعد أن غشيتهم المادة الحالكة، وليرشدهم إلى حقوق الله وحقوق العباد بعد أن فرطوا فيها، وليذكرهم بيوم النشور والبعث.

ويصور ذلك كله قوله تعالى:

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) ﴾ تلك هي قصة عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، كان بشرًا كالبشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ورسولاً كالرسل يدعو إلى الوحدانية الخالصة وعبادة الله وحده.

ولكن الناس اختلفوا فيه ما بين محب غال ومبغض حاقد، وما بين معتقد في رسالته ومنكر ، وما بين مصدق بوجوده ومكذب.

وقد حكم القرآن فعدل وقال فصدق:

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ .

وتجدر الإشارة إلى بعض الملاحظات :

١- لم يذكر القرآن المجيد شيئًا عن يوسف النجار ولاعن نسبه ولا علاقته بمريم . .

ولكن الأناجيل تنسب عيسى من جهــة يوسف النجار وتصل بهذا النسب إلى داود، وتذكر خطبة يوسف لمريم قبل الحمل بعيسى ثم زواجه منها.

وقصص الـقرآن قائم علـى مواطن العبـرة، ومواقف التـأمل السامي، وليـس في ذكر يوسف النجار شيء من هذا، وكونه تزوج مريم بعد ذلك أولا ليس يدخل في مقام التأسي ولا يتعلق به هدف ديني.

٢- اهتم القرآن كثيراً بنسب عيسى من جـهة أمه مريم، وأكد اصطفاء الله لآل عمران، بل لم يصرح القرآن بـاسم امرأة قط إلا باسم مريم بنت عمران التـي ولدت عيسى، وذلك لتأكيد بشرية عيسى وتنزيه الله عن الولد، وإعلان التوحيد المطلق لله عز وجل، وإسناد كل شيء في الكون والكائنات لله رب العالمين.

٣- في السياق القرآني لقـصة عيسى ابن مريم أكد القرآن أكثـر من مرة أن عيسى تكلم في المهد، وبرأ أمه من البهتان، وانتصر للحق كشاهد لا يكذب في قضية غاب شهودها.

ولم تذكر الأناجيل شيئًا عن هذا الموقف في حـياة المسيح، ولم تكن هذه المعجزة الشيء الوحيد الذي تركتـه الأناجيل، بل إن مولد عيسى من عذراء لم يمسسهـا بشر أغفلته بعض الأناجيل ولم تشر إليـه مطلقًا فإنجيل مرقس وإنجيل يوحنا لم يرد فيـهما شيءعن هذه الأم العذراء، ولم يتحدث بولس في رسائله الكثيـرة عن هذه الحقيقة أبدًا . وإنما حديث هؤلاء عن مريم وزوجها يوسف النجار ونسب عيسى من جهته.

ومن خلال تأكيد القرآن العـظيم على كلام عيسى في المهد تتجلى حقيـقة مهمة هي أن القرآن لايسعى إلى إرضاء اليهود أو النصارى، فهو يقول الحق والواقع وافق هؤلاء وأولئك أو خالفهم.

فاليهود قالوا على مريم بهتانـا عظيمًا ودافع القرآن عنها واصطفاها على نساء العالمين ، والنصارى غلوا في دينهم وجلعـوا عيسى وأمه إلهين من دون الله، وأنصف القــرآن عيسى وأمه فهو رسول الله وأمه صديقة.

* * *

ورسولاً إلى بني إسرائيل

تحدث القرآن المجيد في أكـثر من موضع عن رسالة عيسى عليه السلام ومـاصاحبها من خوارق مؤيدة، وما قامت عليه من عقيدة وشريعة. .

قال الله تعالى:

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ .

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾. [آل عمران: ٤٩-٥١]

في هذا النص المقـدس تتحدد مـعالم الرسالة والنـبوة للمسـيح عليه السـلام، وتتجلى معـجزاتـه التي أيده الله بها ومنحـه إياها، وتتراءى للعـالـمين دعـوة الحـق التي نـادى بـها توحيدًا لله، وإقرارًا له سبحانه بالعبادة والعبودية :

أولاً: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾.

فعيسى عـليه السلام بعث لقومه خاصـة شأن كافة الأنبياء والرسل قـبل محمد ﷺ، ولم يرسل عيسى إلا لخراف بني إسرائيل الضالة كما ورد ذلك في كتب النصارى.

وتكرر هذا المعني في القرآن العظيم، فقال سبحانه:

﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾. [المائدة: ٧٢]

وقال جل شأنه :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [المائدة: ٧٨]

وقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾. [الصف: ٦]

لقد عـاش المسيح وانتهت حـياته على الأرض ولم يدع إلا بني إسـرائيل، وتاريخه كله صراع مع اليهود، لكن النصرانية واجهت الأمم الأخرى وخرجت من أرض الشام يوم أريد لها أن تنقلب رأسًا على عـقب، وتتنكب صراط الله المستـقيم، لقد غلفت بفلسفـات وثنية حملهـا بولس(١)، حتى جاء قسطنطين في أوائل القـرن الرابع الميلادي فرفع السيف لإكراه الناس على هذه النصرانية الوثنية.

ولعل سرًا بيانيًا حكيمًا نلحظه في ذلك النص القرآني:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنـتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنـتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾. [المائدة: ١١٦-١١٧]

فهـذا موقف من مواقف عالم الغـيب يوم الدين، يعرضه القـرآن استحضـارًا للصورة، وتذكيرًا بالمستقبل، وتنبيها لكل ذي لب أن يتدارك قبل أن تتفلت منه الحياة.

والاستفهـام هنا تبكيت للنصارى وتوبيخ ، وسيق على جهة العـموم قوله «للناس» لأن فساد النصرانية لم يحصل إلا يوم خرجت من فلسطين على أيدي الشياطين المقدسة.

---

(١) بولس اسم يوناني يرادف بالعبرية شاول ، وقـصته كتبها لوقا صـاحب أحد الأناجيل الأربعة في رسالة تسمى « رسالة أعمال الرسل » وقد نشأ بولس على بغض المسيح وتعذيب أنصاره ، وفجأة تحول من اليهودية إلى النصرانية وكـتب أربع عشرة رسالة قدسها النصارى ، وتشكلت النصـرانية من جـديد وفق فكر بولس القـائم على شـتات من المذاهب الـيهـودية والرومانيـة والفلسفة الرواقية والأفلاطونية الحديثة .

ثانيًا: أيد الله سبحانه رسوله عيسى بخمسة أنواع من المعجزات، أظهرها على يديه تصديقا لدعوى الرسالة وحجة على بني إسرائيل، وهذه المعجزات هي:

١- ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ وقد قرأ نافع « طائرا » والباقون « طيرا » وهو اسم جنس يقع على الواحد والجمع .

وساق الإمام الرازي توجيها للقراءتين فقال : «يروى أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض.

قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا.

ثم اختلف الناس فقال قوم : إنه لم يخلق غير الخفاش ، وكانت قراءة نافع عليه ، وقال آخرون : إنه خلق أنواعا من الطير ، وكانت قراءة الباقين عليه[1] .

٢، ٣- ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص﴾ :

والأكمه هو من ولد أعمى أو عمي بعد أن كان بصيرًا، والأبرص هو المصاب بمرض جلدي يبقع الجلد ويذهب دمويته ويصير شديد البياض.

وهذان المرضان مما يحار في علاجهما الأطباء .

وكان عيسى عليه السلام لا يستعمل عقارًا ولا يحمل مشرطًا ولا يصف دواء، وإنما كان يدعو الله سبحانه فيستجيب له، وتلك هي المعجزة.

٤- ﴿وأحي الموتى بإذن اللَّه﴾ :

من البدهي أن الطب مهما علا قدمه، واتسعت آفاقه لن يمنع الموت، فتلك سنة لا تتخلف، ولن يتقدم الإنسان أجله أو يتأخر.

ومنح الله المسيح معجزة خارقة للعادة، وهي إحياء الموتى فيناديهم من قبورهم فيخرجون إلى أهليهم ثم يقضي عليهم متى أراد الله فيموتون.

٥- ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ :

فمن جملة معجزات المسيح إخباره بما غاب عنه وأخفاه الناس مما يأكلون أو يدخرون في بيوتهم، ولم يكن ذلك كهانة أو تنجيما أو فراسة فهي مظنة الخطأ، وصدق مرة في هذه الحالات يتبعه الخطأ مرات ومرات.

---

(١) التفسير الكبير ج ١١ ص ٦٢ .

أما المسيح فيتكلم بوحي الله إليه.

وهذه المعجزات كلها بإذن الله، ليس للمسيح فيها قوة أو اجتهاد أو اتخاذ أسباب، بل هي إرادة الله وفعله، شأنه في ذلك شأن كل الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله وأيدهم.

ثالثًا : ﴿**ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم**﴾ لقد قامت شريعة عيسى على أصلين:

أ- التصديق بالتوراة وتقريرها على الوجه الصحيح من غير تحريف الضالين أو تبديل الجاهلين.

ب- رفع بعض الإصر عن شعب بني إسرائيل، إذ حرم الله عليهم في شريعة موسى أشياء على سبيل العقوبة لهم.. قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)**﴾. [الأنعام: ١٤٦]

فجاء عيسى ليرفع هذه العقوبة ويسن لهم باسم الله ما يتناسب مع زمانهم.

رابعًا : كانت العقيدة التي جاهد عليها المسيح هي التوحيد الخالص الذي قامت عليه كل رسالات الله إلى البشر ﴿**إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾.

* * *

مائدة من السماء

السورة الخامسة في المصحف الشريف تسمى سورة المائدة نسبة إلى قصة مائدة الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ؟

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. [المائدة: ١١٢-١١٣]

والمائدة -في اللغة- هي الخوان عليه طعام، فإن لم يكن عليه طعام فهو خوان لا مائدة.

والمائدة من «ماده» إذا أعطاه ورفده، كأنها تميد من تقدم إليها، فهي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية بمعنى مرضية.

وابتداء القصة هنا بقول الحواريين «هل يستطيع ربك» أثار تساؤلا: كيف جاز لهم هذا القول مع ما سبق في قوله تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾.

وقد وصفهم الإمام الزمخشري في تفسيره بالنفاق في إيمانهم وعقيدتهم فقال: وقوله «هل يستطيع ربك» كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولاتقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها «إن كنتم مؤمنين» إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة»(١).

وحاول علماء آخرون تبرئة ساحة هؤلاء الحواريين من الشك والنفاق فأولوا قولهم «هل يستطيع ربك» على معنى هل يفعل، كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم،

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٦٥٤ .

من باب التعبير عن المسبب بالسبب، إذ الاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد.

وقرأ بعضهم بنصب كلمة «ربك» على إسناد الاستطاعة إلى عيسى وحذف المضاف أي هل تستطيع يا عيسى سؤال ربك؟

ويكون زجر عيسى لهم في قوله: «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» حرصا منه عليهم خشية أن يكون ذلك فتنة لهم، أو يجوز أن يكون قوله «اتقوا الله» أمرًا بالتقوى والاستمرار عليها لتصير وسيلة إلى حصول المطلوب، كماقال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾. [الطلاق: ٢، ٣]

وقد علل الحواريون رجاءهم هذا بأربعة أسباب :

١- قالوا نريد أن نأكل منها، فهم في حاجة إلى الطعام.

٢- وتطمئن قلوبنا أي بمشاهدة المعجزة ويكون إيمانهم عن عيان وتحقيق.

٣- ونعلم أن قد صدقتنا أي نزداد جزما بالنبوة لك حيث تكاثرت خوارق العادات وخاصة فيما أجبتنا إليه وحققته لنا.

٤- ونكون عليها من الشاهدين أي يكون هؤلاء شهود رؤية ينقلون دلائل النبوة لمن لم يعاينها.

عندئذ ابتهل عيسى عليه السلام إلى ربه ضارعًا:

﴿ **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين** ﴾.

والملاحظ أن دعاء المسيح قد علل المائدة بطريقة تخالف تعليل الحواريين فقد بدأ بشكر النعمة في قوله: «تكون لنا عيدا» فمعنى كونها عيدا أن يتخذ يومها مناسبة سرور بالإيمان وشكر للرحمن وثناء لله رب العالمين.

ثم ثنى المسيح بقوله: «وآية منك» أي دليلاً وحجة وخارقا للعادة تنصبه على قدرتك سبحانك وعلى صدق دعوتي، وهذا المعني يشمل السببين الثاني والثالث من تعليل الحواريين في قولهم ﴿ **وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا** ﴾.

ثم كان ختام تعليل المسيح قوله: ﴿ **وارزقنا وأنت خير الرازقين** ﴾ وهو نفس ما بدأ به

الحواريون حين أرادوا الأكل منها،ولم يفرد الرزق بالدعاء بل قرنه بالثناء فقال: «وأنت خير الرازقين».

فماذا كانت نهاية قصة المائدة ؟ ﴿ **قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** ﴾.

وقد اختلف المفسرون، فقال البعض إن المائدة قد نزلت استجابة لدعاء المسيح ورجاء الحواريين، وأن الذين كفروا بعد الأكل منها مسخوا قردة وخنازير، والمقصود من العالمين عالمي زمانهم.

ويروى عن ابن عمر: إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة(1) : المنافقون لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ** ﴾ [النساء: ١٤٥]، ومن كفر من أصحاب المائدة لقوله تعالى: ﴿ **فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** ﴾، وآل فرعون لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)** ﴾.
[غافر: ٤٦]

وحين نسلم بنزول المائدة نتوقف عن الخوض في تفاصيلها من صفة المائدة وألوان الطعام وعدد الآكلين. .إلخ فكل هذه الأمور لم يرد فيها نص صحيح، وينبغي للمسلم أن ألا ينساق وراءغرائب الروايات.

وذهب فريق من العلماء إلى أن المائدة لم تنزل، فقد تراجع الحواريون عن رجائهم حين عرض عليهم أشد العذاب إن كفروا.

وقريب من هذا المعنى ما رواه أحمد عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل الصفا ذهبا ونؤمن بك؟ قال: «**وتفعلون؟**» قالوا: نعم قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال عليه الصلاة والسلام : « **بل باب التوبة والرحمة** » .

---

(1) ويمكن أن يضاف صنف رابع وهو اليهود المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)** ﴾ . [البقرة : ٨٥]

وقد ساق الإمام ابن كثير روايات تفيد أن المائدة لم تنزل، ثم قال: وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى، وليس هو في كتبهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوافر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا ولا أقل من الآحاد والله أعلم[1].

ويرى الشيخ عبد الوهاب النجار أن مسألة المائدة هي مسألة أرغفة خمسة وسمكتين وضعت بين يدي عيسى عليه السلام فباركها وأكل منها خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد، ومعنى كونها مائدة سماوية أن الله باركها بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ومن حيث لا يحتسبون[2].

لكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت هو الأقرب إلى الاعتبار، لأن وعد الله ووعيده حق وصدق، ولأنها ذكرت في القرآن موطن عبرة وذكرى، وقوله تعالى: «فمن يكفر بعد منكم...» شرط وجزاء لا تعلق له بقوله: «إني منزلها عليكم».

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ١١٩ .

(٢) قصص الأنبياء ص ٤١٢ .

ورافعك إليّ

لليهـود سجل حافل بالتآمر على الأنبياء وقتلهم بلا نـدم أو استحياء، وسـجل القرآن المجيد عليهم هذه الجرائم النكراء فقال:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الـذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الـلَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾. [البقرة: ٦١]

وقال جل شأنه :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيـثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾. [المائدة: ٧٠]

وموقف اليـهود من المسيح هو امـتداد لتاريخـهم العفن وسلوكهـم المنحرف، ونظرتهم الساخطة على دعاة الحق ورسل الله..

فهم -قـاتلهم الله- لا يعترفون للمـسيح عليه السـلام بالنبوة ويقولون على مريم بهـتانًا عظيمًا، ولما جاءهم بالرسالة وظهرت على يديه المعجزات اتهـموه بالسحر، وناصبوه العداء وتآمروا على قتله وصلبـه، وسول لهم الشيطان أن يوقعوا الصلب والقـتل، ويتباهوا بذلك كبرًا وعدوانًا، وخـدعوا بتلك الجريمة أزمانًا، ثم كانت المفاجأة التـي أعلنها القرآن فأذهلت اليهود والنصارى معًا:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ
وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ
مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا
بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾. [النساء: ١٥٧-١٥٨]

ويضع القرآن هنا مجموعة حقائق :

أولاً : يسجل على اليهود نزعتهم العدوانية الشريرة، ومجاهرتهم بجريمتهم التي أعدوا لها ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** ﴾.

وفي هذا التعبير «المسيح عيسى ابن مريم رسول الله» تأكيد لإصرارهم على رفض الحق، ومحادتهم لله ورسوله، فهم يعلمون أنه رسول الله. .

ويرى بعض المفسرين أن هذا التعبير منهم على سبيل الاستهزاء كما قال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ **إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** ﴾ [الشعراء: ٢٧] وعن كفار قريش ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾. [الحجر: ٦]

ثانيًا : يصدمهم القرآن بالحقيقة المؤلمة لنفوسهم، وهي مواجهتهم بغير ما يتوقعون، فهم مخدوعون لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه وإنما وقعت جريمتهم على شبيه به وليس هو. .

﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾.

ثالثًا : إن مسألة قتل المسيح وصلبه لم تكن موضع يقين لدى اليهود أو النصارى، فهم جميعًا يعتريهم الشك والريب حول هذه الواقعة. .

فاليهود بعد ما قتلوا شبيه عيسى وهو واحد منهم قالوا:

إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟

وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟

والنصارى في وهم كبير وجدل مرير حول الناسوت واللاهوت، وهل وقع الصلب والقتل عليهما معًا أم على أحدهما فقط؟!

﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** ﴾.

رابعًا : يأتي التأكيد القرآني حول هذه الواقعة قائلاً :

﴿ **وما قتلوه يقينا** ﴾.

فلم يقع قتل على عيسى ألبتة. . . !!

وفي قضية الشبيه وقتله آراء للعلماء منها:

١- قال كثير من المتكلمين إن اليهود لما قصـدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء، فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم فـأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس فما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة للناس.

وبهذا الطريق زال السؤال :

لا يقال إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولاً .

لأنا نقول:

إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب.

٢- أنه تعالى ألقى شبهه على إنسان آخر، وفيه وجوه:

أ- أن اليهود لما علموا أنه حـاضر في البيت الفلاني مع أصحابه أمـر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له «طيطايوس» أن يدخل على عيـسى عليه السلام ويخرجه ليقتله، فلما دخـل عليه أخرج الله عـيسى عليـه السلام من سـقف البيت، وألقى على ذلك شـبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه.

ب- وكلوا بعـيسى رجـلاً يحرسه، وصـعد عـيسى عليـه السلام في الجبل ورفع إلى السماء، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى.

جـ- إن اليهود لما هموا بأخذه، وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي.

فقال واحد منهم: أنا.

فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقتل ورفع الله عيسى عليه السلام.

د- كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى عليه السلام، وكان منافقًا فذهب إلى اليهود ودلهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصلب»[١].

وأيام ما كان فإن تفاصـيل التشبيه لهم لا يعنينا كثيرًا، وكل مـا يجب الإيمان به واعتقاد صدقه أن عيسى عبد الله ورسوله لم يقتله اليهود ولم يصلبوه وقد نجاه الله من كيدهم.

---

(١) راجع تفسير الرازي جـ ١١ ص ١٠٢ .

ويبقى معنا في هذا الجانب أمران لا بد من ذكرهما والإشارة إليهما:

الأول: رفع عيسى عليه السلام.

الثاني: نزول عيسى في آخر الزمن وقرب قيام الساعة.

وظاهر القرآن يدل على أن عيسى رفع بجسده وروحه إلى السماء وأنه سينزل آخر الزمان إلى الأرض ليكشف حقيقة عبوديته لله، ويؤكد ولاءه للدين الحق ويشهد لسيدنا محمد ﷺ بصدق رسالته وعموم دعوته.

ومن نصوص القرآن ما يأتي:

١- قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾. [آل عمران: ٥٥]

هذه الآية الكريمة وردت عقب حديث القرآن عن مكر اليهود ومناهضتهم لدعوة المسيح فكانت تثبيتا لقلبه وإظهارا لكفالة الله له وإنقاذاً إلهيا من بطش اليهود.

وللعلماء في فهم قوله تعالى: ﴿ **إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ آراء أهمها:

أن العطف هنا بالواو، وهي لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا، فيكون المراد أنه سيحصل له مجموع الأمرين الوفاة والرفع.

فالله تعالى رفع المسيح إلى السماء وسينزل قرب قيام الساعة ليموت في الأرض تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)** ﴾. [طه: ٥٥]

أن المراد إسناد أمر وفاة المسيح إلى الله تعالى وعدم تمكين اليهود منه فالمعنى إني أنا الذي أتوفاك ولن أتركك لليهود وسأنقذك من كيدهم برفعك إلى السماء حتى تتأتي لحظة الوفاة التي كتبها الله.

ومما يؤكد هذا المراد قوله جل شأنه على لسان المسيح يوم القيامة: ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾. [المائدة: ١١٧]

أن التوفي هو القبض أو الاستيفاء، يقال: وفاني فلان ديونه وتوفيتها منه أي أقبضني

وقبضتها منه، ويقال أيضا توفى فلان ديونه أي استوفاها.

وجـاء هذا المعنى في قوله تعـالى: ﴿ الـلَّهُ يَتَوَفَّى الأَنـفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] أي يقبضها.

وعلى هذا يمكن القول إن معنى الآية: إني قابضك إلي ورافعك، ويكون عطف«رافعك» على «متوفيك» من عطف الخاص على العام لأن التوفي قد يكون بالموت وقد يكون بغيره، فبين العطف أن التوفي بمعنى الرفع.

وقد يـقال : إن التـوفي هو النوم، وجاءت نصـوص بهذا المعنى، منهـا قوله تعـالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾. [الأنعام: ٦٠]

وكان رسول الله ﷺ إذا قام من نومه قال: «**الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا**».

ويكون المراد حينئذ أني سأسدل عليك النوم وأرفعك أثناء نومك[1].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. [النساء: ١٥٧، ١٥٨]

وهذا النص الكريم ورد عقيب نفي مـزاعم اليهود حول قتل المسـيح وصلبه، وكان هذا الإضراب بلفظ «بل» تـأكيدًا لرفع المسـيح بجسده وروحـه إلى السمـاء، ولايعقل أن يكون المراد رفع روحه أو رفع مكانته فقط لأنه لو سلم هذا المراد ما كـان نفيا لقتل المسيح وصلبه فإن روح القـتيل والميت ترفع إلى بارئهـا ، ومكانة المسيح عند ربه ليـست محل نزاع لدى المؤمنين الصادقين.

٣- قال الله جل شأنه :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيــدًا ﴾ . [النساء: ١٥٩]

«إن» نافية بمعنى «ما»..

والضمير في «به» عائد على عيسى..

وللعلماء وجهان في مرجع الضمير في «موته»:

---

(١) راجع هذه الآراء وغيرها في تفسير الرازي حـ ٨ ص ٧٤ وتفسير ابن كثير حـ ١ ص ٣٦٦ وغيرهما .

الأول : قبل موت عيسى، والمعنى أنه عندما يأتي آخر الزمان وينزل المسيح تصبح الملة واحدة، ولايسع اليهود والنصارى إلا أن يؤمنوا بنبوة المسيح وعبوديته لله وليس دعيا كما يزعم اليهود، وليس إلها أو ابن إله كما يفتري النصارى. . وفي هذا دليل على أن عيسى لم يمت بعد، وأنه رفع إلى السماء وسينزل آخر الزمن ليموت موتته الأولى في هذه الأرض. .

الثاني : قبل موت اليهودي أو النصراني، والمعنى أن الإنسان حين تأتيه لحظة الموت يعاين ما لا يعاينه الأحياء وينكشف له الحجاب وتتراءى له حقائق الغيب. . فحينئذ يدرك ما كان عليه اعتقاده من إيمان أو كفر فيحاول أن يصحح عقيدته الفاسدة فيؤمن بما كذب به من قبل، ويقول إن عيسى عبد الله ورسوله، ولكن هيهات أن ينفعه الإيمان في هذه اللحظة، لقد مضى عهد التكليف، وشارف عهد الجزاء.

ومما يرجح القول الأول أن الآية وردت عقب حديث القرآن عن مزاعم اليهود في قتل المسيح وصلبه ثم بيان أن المسيح لم يقتل يقينا وإنما رفعه الله إليه، فتكون هذه الآية مؤكدة لمعنى الرفع ومبينة للنزول، وأن أهل الكتاب مع عداوتهم للمسيح أو مغالاتهم فيه سيلتقون به ويدركون خطأهم وخطيئتهم في حقه، وسيقف المسيح نفسه شاهداً لهذا القرآن العظيم فيما قصه من القصص الحق.

٤- قال الله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾. [الزخرف: ٦١]

هذه الآيات جاءت في سياق جدل المشركين مع رسول الله حول المسيح، وذلك عندما نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فاحتج المشركون بعبادة النصارى لعيسى عليه السلام، وهل سيدخل عيسى مع عابديه نار جهنم؟

والفرق واضح، فعيسى لم يأمرهم إلا بعبادة الله وحده، والنصارى هم الذي ضلوا وزين لهم الشيطان أعمالهم، فلا ذنب لعيسى في شرك النصارى.

ثم إن لفظ الآية «إنكم وما تعبدون» خطاب لمشركي قريش وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام فتوعدهم الله بالنار مع أصنامهم لمزيد تقبيحهم.

فالأمر مختلف وهم يدركون الاختلاف، لكـنهم قوم يثيرون الخصومة والجدل بلا هدف صحيح ولا غاية نبيلة.

ثم جاء تأكيد الآيات على أن عيسى عبد أنعم الله عليه بالنبوة والمعجزات، وجعله برهانًا على قدرة الله قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾. [الزخرف: ٥٧-٥٩]

واستمـرارًا لهذا المعنى فإن عيـسى علامة على قرب السـاعة، سينزل آخر الزمن لـيقيم الحجة على الخلق الذين ضلوا في شأنه.

وهذا الظاهر من القرآن الـكريم في شأن رفع عيـسى ونزوله، يعضده ويقـوي اليقين به صريح السنة الصحيحة، فقـد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفـسي بيده ليـوشكن أن ينزل فيكـم ابن مريم حكمًا عـدلاً، فيكسـر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفـيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السـجدة خيرا له من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم **﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾.**

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«الأنبياء إخوة لعلات[١]، أمـهاتهم شـتى ودينهم واحـد، وإني أولى الناس بعـيسى ابن مريم، لأنه لـم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع[٢]، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصـران. كأن رأسـه يقطر إن لم يصـبه بلل، فـيدق الصليب ويـقتل الخنزير ويضع الجـزية ويدعـو الناس إلى الإسـلام ويهلك الله في زمـانه الملل كلهـا إلا الإسـلام، ويهلك الله في زمانه المسيـح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسـود مع الإبل، والنمار مع**

(١) بنو العلات: أولاد الرجل من نسوة شتى.

(٢) المربوع: الرجل ليس بالطويل ولا بالقصير.

البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وقد ساق الإمام ابن كثير في تفسيره الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض في آخر الزمان، وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ثم قال:

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن حارثة، وأبي شريحة، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام، بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح»[1].

ونقول إن دعوى التواتر اللفظي يصعب التسليم بها، ويمكن القول بالتواتر المعنوي في روايات أحاديث نزول عيسى عليه السلام[2].

ومما يجب العلم به أن نزول عيسى عليه السلام ليس نبوة جديدة فقد ختمت النبوات بسيدنا محمد ﷺ فلا نبي بعده ولا رسول يعقبه، وشريعة الإسلام لا تنسخ أبدا إلى يوم القيامة.

وإنما نزول عيسى له حكم كثيرة :

١- يفجأ اليهود حيث زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما وقع ذلك عليه بل رفعه الله إليه.

٢- يقيم الحجة على النصارى حيث غالوا فيه وقالوا بالألوهية أو البنوة لله.

٣- يصدق القرآن فيما حكاه من القصص الحق حول شخصية المسيح ورسالته .

---

(١) تفسير القرآن العظيم حـ١ ص٥٨٢ .

(٢) أحيلت إلى مجمع البحوث الإسلامية رسالة للحصول على درجة الماجستير بعنوان «عقيدتنا رفع ونزول عيسى عليه السلام بين الإسلام والنصرانية» أنكر صاحبها قضية الرفع والنزول الجسدي ، وكتبت لجنة العقيدة والفلسفة بالمجمع تقريراً عنها بتاريخ ٢٠ من رمضان سنة ١٤٠٢ هـ الموافق ١١ من يوليو سنة ١٩٨٢ جاء فيه «ترى اللجنة بالإجماع أن موضوع رفع عيسى ونزوله موضوع خلافي، وأن العلماء المسلمين لهم فيه رأيان، وأن الطالب قد اختار أحد الرأيين، فهو مسبوق بالقول به، وإن كان قد اختار الرأي المرجوح فلا يطعن ذلك في دينه كمسلم لأنه قلد غيره من العلماء السابقين عليه، وهم علماء لهم وزنهم وفكرهم. .».

٤- يجمع الناس على الإسـلام ورسالة القرآن، وتكون السجـدة واحدة لله رب العالمين وبالتالي فلا جزية يومئذ.

٥- يصاحب نزول عـيسى عليه السلام رخـاء وأمن يعم الكائنات جميعًا بفـضل وحدة القلوب بعقيدة التوحيد ووحدة المجتمعات بشريعة الإسلام.

* * *

ومبشراً برسول

تظاهرت آيات القرآن المجيد مؤكدة حقيقة البشارة بمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل، وقد اتخذ البيان القرآني أنماطًا متعددة في التعبير عنها، وهذه أمثلة منها: قال الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾. [البقرة: ٨٩]

وفي سبب نزول هذه الآيات يروي ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا:

إن مما دعانا إلى الإسلام -مع رحمة الله تعالى وهداه- لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك، وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور.

فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي، يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم. !!

فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة»(١).

قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾. [البقرة: ١٤٦]

وفي آية أخرى يقول جل شأنه: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) ﴾. [الأنعام: ٢٠]

وفي هذا التعبير «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» تأكيد وضوح النبوة لسيدنا محمد ﷺ وصدقه في دعواها، وتصديقه لما مع أهل الكتاب من بشارات.

---

(١) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام -للإمام السهيلي جـ ١ ص ٢٤٥ .

وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم؟ قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه[1].

وفي الآية الأولى بين الله أن فريقًا منهم يكتم الحق، وفي الآية الثانية حكم عليهم بالخسران والوبال لتركهم الإيمان بالرسالة المحمدية.

ثم نلتقي بالنص الصريح والعبارة القوية والصفة القاطعة بالبشارة بمحمد في التوراة والإنجيل فيقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾. [الأعراف: ١٥٧]

وتحدث القرآن كثيراً عن جماعة عرفوا الحق فاتبعوه وأدركوا صدق البشارة على سيدنا محمد ﷺ فآمنوا برسالته.

ففي سورة المائدة تتحدث الآيات عن القسيسين والرهبان الذين أسلموا ورفضوا متاع الحياة الرخيص ومظاهر الرئاسة الكاذبة. فقال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)**﴾.

[المائدة: ٨٢-٨٣]

ثم تسوق الآيات هذا التساؤل منهم:

﴿**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق؟!**﴾.

فهذا إنكار واستبعاد منهم لعدم الإيمان مع وجود مقتضاه وهو ظهور الحق ومعرفته.

فكانت عاقبتهم حسن الجزاء من الله تعالى:

﴿**فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**﴾.

وفي سورة الإسراء اتخذ القرآن من إيمان هؤلاء حجة على المشركين، وأكد أن علمهم بالكتاب الأول هو الذي ساقهم إلى الإيمان بالرسول الخاتم، فكيف يكفر به من لا علم له

(١) الكشاف جـ١ ، ص ٣٢١ .

ولا دين من الوثنيين؟! فقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾. {الإسراء: ١٠٧-١٠٩}

وفي سورة القصص بين القرآن أن الرسالة المحمدية حلقة أساسية في الوصل بين الرسالات الإلهية، وأن أهل الكتاب الذين يصلون إيمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام بإيمانهم بمحمد ﷺ؛ لهم أجر مضاعف، ثم وصفت الآيات ثباتهم على الحق، ويقينهم الكامل بالرسالة المحمدية، ومدحت سلوكهم الراشد تجاه جهلاء العقل وغرباء الكلمة فقالت:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾. {القصص: ٥١-٥٥}

وساق القرآن تشبيهًا لأمة محمد ﷺ ووصفًا لهم ذكره الله تعالى في التوراة والإنجيل فقال:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ...﴾. {الفتح: ٢٩}

فقد وصف الرسول وأصحابه في التوراة بالشدة على الكفار والرحمة مع المؤمنين وكثرة الصلاة والسجود فزادهم ذلك بهاء وضياء، وكانت صفحات وجوههم تشع نوراً.

ومثل الرسول وصحبه في الإنجيل كزرع يبدو في أول أمره ضعيفًا هشًا فيعمق جذوراً ويمتد سيقانًا ويزداد فروعًا ثم يؤتي ثمره طيبًا مباركًا فيعجب الزراع بقوته وثمره وجمال منظره.

وحرص القــرآن على تأكيد أن الرسول المبـشر في التوراة والإنجـيل إنما هو النبي العربي الهاشمي، فـذكره بالاسم ليقطع الطريق على الأدعيـاء، ولتتضح الحقيـقة لكل ذي عينين، وأردف ذلك بأن النصر المؤزر لرسـول الهدى أحمـد وأن رايته ستـعلو خفاقـة في العالمين، فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾.

[الصف: ٦-٨]

وكان ختام البـيان القرآني في هذا المجال -حسب ترتيب المصـحف الشريف- في سورة البينة؛ مـعلنًا أن حجة الله على خلقه من أهل الكـتاب والمشركين قد قـامت ببعثة مـحمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم، وأن الحنيفية السمحاء هي طريق البشرية إلى الله.. فقال:

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ [1] حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾. [البينة: ١-٥]

من هذا العرض السريع وتلك الإلمامة اليسيرة يتـضح أن القرآن أكد تأكيدًا قويًا، واحتج احتجاجًا ظاهرًا على نبوة سيدنا محمد ﷺ ببشارات التوراة والإنجيل، وألزم أهل الكتاب ضرورة الإيمان بهـذه النبوة المحـمدية تصديقًا لما مـعهم وما ثبت لـديهم من أنه ﷺ جاء بالحق وصدق المرسلين.

ويعد هذا الاتجاه القرآني فريدًا في إثبات النبوة.

يقول الإمام الرازي:

«وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل، لأن ذلك لو لم يكن

---

(١) منفكين: منتهين.

مكتوبًا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله، لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات.

والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله ، وينفر الناس عن قبول قوله .

فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورًا في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته»(١).

وفي هذا المعنى أيضا يقول الإمام ابن تيمية :

«نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب، وإخباره بأنه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على أنه كان موجودًا في كتبهم.

فإنه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر؛ أنه كان من أعقل أهل الأرض، فإن المكذبين له لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم الذي لم يحصل لأحد مثله لا قبله ولا بعده.

فعلم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبر به، وهو من أحرص الناس على تصديقه، وأخبرهم بالطرق التي يصدق بها، وأبعدهم من أن يفعل ما يعلم أنه يكذب به.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم بل علم انتفاء ذلك لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه وأعدائه، فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلا، لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم ، وعند من يخبرونه .

وهو ضد مقصوده وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود على حقه فيأتي إلى من لا يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهد، ولا حضر قضيته ويقول: هذا يشهد لي، فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية.

فيقول أولئك :لسنا نشهد له ولا حضرنا هذه القضية.

فهذا لا يفعله عاقل يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين، وأنهم يكذبونه ولا يشهدون له . . . »(٢).

ويعد ابن تيمية هذا الطريق من أظهر الحجج على أهل الكتاب وأظهر الأعلام على نبوته ﷺ .

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٥ ص ٢٦ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٩٢ . ط مطابع المجد التجارية .

ثم نبتهل

قص القرآن المجيد في سورة آل عمران القصص الحق حول عيسى عليه السلام في نشأته ونسبه ورسالته، وناقش النصارى في مزعمهم وشبهاتهم، ووصل إلى بيان ما هو أعجب حالاً من المسيح وهو آدم عليه السلام حيث خلق بلا أب ولا أم.. وهنا دعت الآيات إلى موقف يحسن أن ينتهي الكلام والجدل عنده، فقال جل شأنه : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)** ﴾ . [آل عمران : ٦١]

والمفسرون على أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نصارى نجران.

كانوا ستين راكبًا منهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وثلاثة منهم كانوا من أكابرهم، أحدهم الأمير واسمه عبد المسيح، والثاني مشيرهم وذو الرأي فيهم وهو الأيهم، ويقولون له السيد، والثالث حبرهم وأسقفهم وهو أبو حارثة ابن علقمة أحد بني بكر بن وائل.

وتكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، وتفيد الروايات أنهم قالوا لرسول الله: يا محمد فيم تشتم صاحبنا؟

قال رسول الله: أجل إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

فغضبوا وقالوا: إن كنت صادقا فأرنا عبدًا يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا .... لكنه الله..!

فسكت حتى أتاه جبريل فقال: يا محمد.

﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** ﴾.

فقال رسول الله: «**يا جبريل إنهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى**».

قال جبريل: ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾.

وتضيف بعض الروايات أن الرسول ﷺ أخذ يناظرهم فقال: ألستم تعلمون أن الله

حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئًا من ذلك؟

قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى علـيه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل يعلم عيسى شيئًا من ذلك إلا ما علم؟

قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صـور عيسى في الرحم كيف شاء، فهـل تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشـراب ولا يحدث الحـدث، وتعلمون أن عـيسى حملتـه امرأة كـحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ثم كان يطعم ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟!

قالوا: بلى.

فقال عليه الصلاة والسلام: فكيف يكون كما زعمتم؟

فعرفوا ثم أبوا إلا الجحود، ثم قالوا: يا محمد ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟

قال: بلى.

قالوا: فحسبنا.

فأنزل الله تعالى: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه..**﴾[(١)].

هنا يحسن التوقف عن الكلام حيث لا يفيد مع الجـاحدين المنكرين، فقال عليه الصلاة والسلام:

إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم.

فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك.

فلما رجعوا قالوا للعاقب -وكان ذا رأيهم-: يا عبد المسيح ما ترى؟

---

(١) تفسير الرازي جـ ٧ ص ١٦٧ .

فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمرصاحبكم، والله ما باهل قوم نبيًا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وكان رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

ثم قالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك.

فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين فأبوا. . فقال: فإني أناجزكم القتال.

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلة، ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعًا عادية من حديد.

فصالحهم على ذلك وقال:

والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رءوس الجبال، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا.

وروى أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله ثم فاطمة ثم علي رضي الله عنهما ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

وقد ساق الإمام الرازي هذا الحوار ثم قال:

واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث[1].

ومعنى قوله تعالى «ثم نبتهل» فيه وجهان للعلماء:

الأول : الابتهال هو الاجتهاد في الدعاء مطلقا.

الآخــر : أنه مأخوذ من «بهله الله» أي لعنه وطرده من قــولهم: « ناقة باهل » لا صرار عليها في ضرعها يحلبها من شاء، ورجل باهل، إذا لم يكن معه ما يدفع عن نفسه.

ورجح الإمــام الرازي في تفسـيره الرأي الأول حـتى لا يكون هناك تكرار، فقــوله «ثم نبتهل» أي نجتهد في الدعاء «فنجعل لعنة الله على الكاذبين».

والملاحظ أن الآية الكريمـة قدمت الأبـناء ثم النســاء ثم الأنفس، وذلك لأن الشــأن أن يدافع الإنسان عن ولده ويموت في سبـيلهم ويجعل نفسه فداء لهم، والأبناء مـقدمون طبعًا على النساء.

فالموقف موقف لعن وطرد من رحمة الله، وتقـديم الأبناء والنساء أبلغ في الزجر وأقوى حتى لا يقدم القوم على المباهلة إلا وهم صادقون.

وقد اسـتدل الإمام الـرازي بهذه الواقعـة على صحـة النبوة لسيـدنا محـمد ﷺ من وجهين:

أحـدهمـا : وهو أنه عليه السلام خوفـهم بنزول العذاب عليهم ولو لم يكن واثقا بذلك لكان ذلك منه سعيـا في إظهار كذب نفسه، لأن بـتقدير أن يرغبوا في مـباهلته ثم لا ينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذبه فيمـا أخبر، ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه، فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقا بنزول العذاب عليهم.

ثانيهـما : أن القوم لما تركوا مباهلته، فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباهلته[2].

---

(١) التفسير الكبير جـ ٨ ص ٨٨ .

(٢) التفسير الكبير جـ ٨ ص ٩١ .

حكم الله

عرض القرآن المجيد للنصرانية في صفـائها الأول ثم بين ما اعتراها من تحريف وتبديل، وقد اتخذ البيان القرآني ألوانًا متعـددة في عرض هذا الجانب تضمنت حكم الله تعالى فيما آل إليه دين المسيح عليه السلام.

ومن هذا البيان نجد ما يلي :

أولاً : كفر من اعتـقد ألوهية المسيح عليه السلام بأي شكل من الأشكال، قال الله جل شـأنه : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)** ﴾. [المائدة: ٧٢-٧٣]

فكل من خرج بالمسيح عن طور البـشرية وأضاف إليه لاهوتًا فقد اعتقـد ضلالاً وكفرًا، وناقض عقيدة التوحيد الخالص، التي جاهد عليها المسيح عليه السلام.

لقد كان المسـيح يعبد الله وحده، ويدعو لإفـراد الله بالعبادة والاستـعانة، ولا يعقل أن يكون المسيح معبودًا وعابدًا.

وحقـيقـة الحقـائق هي أنه لا إله إلا الله، ولا معـبود بحق سواه، وقـامت دلائل الحق وشواهد الصدق على تأكيد ذلك في فطرة الإنسان النقية.

والنصارى حين يزعمون ألوهية المسيح أويتوهمـون فيه لاهوتا فقد حقت عليهم اللعنة، ووجبت لهم النار، واستحقوا الخلود الأبدي في الجحيم.

وقد وضح الصبح لذي عـينين، ولا زال الحوار مستمرًا مع كل ضـال منحرف عسى أن يقلع عن فسـاد العقيدة وضـلال الفكر، فإن الله يقبل توبة التائبين، وإن الإسـلام يجب ما قبله.

ثانيًا : إثبات التحريف والتبديل للتوراة والإنجيل. . قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ**

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾. [آل عمران: ١٨٧]

وقال جل شأنه: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥)** ﴾. [المائدة: ١٥]

فاليهود والنصارى طمسوا معالم الدين الحق، وغيروا ما أنزل الله إيثارًا لمتاع الدنيا الرخيص، وحبا لمغانم الحياة المادية.

فالثمن القليل هو الدنيا بأسرها، وهي لا تساوي شيئًا بجوار ضياع الحق وكتمان الحقيقة.

وقد جاء القران المجيد ليكشف خفايا نفوس هؤلاء الضالين، ويبين الحق الصراح ويوضح معالم الحياة الصحيحة عقيدة وسلوكًا.

ثالثًا: يتحمل الرهبان والأحبار مسئولية الإنحراف العقدي والتشريعي، فهم يحملون أوزار ضلالهم وإضلالهم.. قال الله سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)** ﴾. [التوبة: ٣١]

وقال جل شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾. [التوبة: ٣٤]

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيسًا في قومه طيء، وأبوه حاتم المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل عدي وفي عنقه صليب من فضة، على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله...** ﴾.

فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم.

فـقال الرســول: «**بلى إنهم حرمـوا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحـرام فاتبعـوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال الـلَّه أكبر؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من اللَّه؟**

ما يضرك؟ أيضرك أن يقال لا إله إلا اللَّه؟ فهل تعلم إلهًا غير اللَّه؟!»

ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة حق.

قال عدي: فلقد رأيت وجهه استبشر، ثم قال رسول الله: «**إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون**».

* * *

المبحث الثالث:

دراسات حول البشائر

١- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.

للإمام ابن تيمية (٦٥١ - ٧٢٨ هـ).

٢- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب.

للقس إنسلم تورميدا، الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي في القرن التاسع الهجري.

٣- إظهار الحق.

للعلامة الشيخ رحمه الله الهندي (١٢٣٣ - ١٣٠٨ هـ).

٤- شاهد من أهلها:

ورقة بن نوفل.

نجاشي الحبشة.

عبد الله بن سلام.

سلمان الفارسي.

زيد بن سعنة.

❋ ❋ ❋

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

هذا كـتاب قـيم يرد على شبـهات راهب نصـراني ومزاعـمه حـول الرسالة والـرسول والقرآن، وفيه بيان فساد عقائد النصـارى من الأقانيم والتثليث والاتحاد، كما تضمن دراسة مقارنة عن الإسلام واليهودية والنصرانية..

وقـد تعرض للبشائـر المحمديــة في كتبهم وذكر بعضها ، إلا أن الإمام ابن تيمية أفاض في بشارتين لهمــا أهمية خاصة، الأولى تتعلق بمكة ودعــوة إبراهيم، والأخرى تدور حول كلمة «الفارقليط».

البشارة الأولى[1] :

نص من التــوراة يقـول: «جاء الله من طور سيـناء - وبعـضـهم يقـول في الترجـمة- تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران».

قال كثـير من العلماء -واللفظ لمحمد بن قـتيبة- : ليس بهــذا خفاء على من تدبر ولا غموض، لأن مـجئ الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طـور سيناء، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا.

وكذلك يجب أن يكون إشراقــه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسـيح، وكان المسيح من ساعير -أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة- وباسمها سمي من اتبعه من نصارى.

وكما وجب أن يـكون إشراقه من ساعـير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استـعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ . وجبال فاران هي جبال مكة.

قال: وليس بين المسـلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فـاران هي مكة، فإن ادّعــوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم).

ثم أخذ ابـن تيميـة يشرح ويسـتدل على أن فـاران هي مكة بما جاء في الـتوراة من أن إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر وإسماعيل فاران.

وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما رُبي بمكة.

والبرية التي بين مكة وطـور سيناء تسمى برية فـاران، ولا يمكن لأحد أن يدّعي أنه نزل

(١) جـ ٣ ص ٣٠٠ . طبعة مطابع المجد التجارية .

كتاب -بعد المسيح- في شيء من تلك الأرض ولا بُعث نبي.

فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ ،وهو -سبحانه- ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزمني، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول : جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق ، وفي الثالث: استعلن. .

وكان مجئ التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك.

ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ازداد به النور والهدى.

وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: «استعلن من جبال فاران» . فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله ، وهداه في شرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين ، كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها . ولهذا سماه الله سراجًا منيرًا وسمى الشمس سراجًا وهاجًا . والخلق محتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهّاج، فإن الوهّاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، بل قد يتضررون به في بعض الأوقات.

وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانية. وقد قال النبي ﷺ : **«زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»**.

ثم يسوق ابن تيمية توضيحًا آخر فيقول[1]:

(ومن ذلك ما في التوراة التي بأيديهم، في السِّفر الأول منها، وهي خمسة أسفار، في الفصل التاسع، في قصة هاجر، لما فارقت سارة وخاطبها الملك، فقال: يا هاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟ . .

فلما شرحت له الحال قال: ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعكِ حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنًا تسمينه إسماعيل، لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك، وولدك يكون وحي الناس، ويكون يده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته. .).

(١) جـ ٣ ص ٣١٣ .

قال المستخرجون لهذه البشارة :

معلوم أن يد بني إسماعـيل قبل مبعث محمد ﷺ لـم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بنـي إسحق النبوة والكتـاب، وقد دخلوا مـصر زمن يوسف مع يعـقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بعث موسى، وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد.

ثم مع يوشع بعده إلى زمن داود وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله.

وسلط الله عليهم بعد ذلـك بخت نصرَّ، فلم يكن لبني إسماعيل عـليهم أمر، ثم بعث المسيح، وخرب بيت المقدس الخراب الثاني حيث أفسدوا في الأرض مرتين.

ومن حينئـذ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أممًا، وكـانوا تحت حكم الروم والفرس والقبط، ولم يكن العرب عليهم حكم أكثر من غيرهم.

فلم يكن لولد إسماعيل سلطـان على أحد من الأمم، لا أهل الكتاب ولا الأميين، فلم تكن يد ولد إسـماعيل فـوق الجمـيع حتى بعث الله مـحمدًا ﷺ الذي دعـا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾. [البقرة: ١٢٩]

فلما بُعث صارت يد ولد إسماعـيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهـروا فارس والروم وغيرهم من الأمم، وقـهروا اليهود والنـصارى والمجوس والمشركين والصابئين..

فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة: «وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به»، وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر.

البشارة الثانية[1] :

تدور هذه البشارة حول كلمة «الفارقليط»، وأورد ابن تيميـة مجموعة نصوص تضمنتها مثل:

قــال يوحنا الإنجـيلي : قال يسـوع المسيح في الفصـل الخامس عشـر من إنجيله: (إن «الفارقليط» روح الله الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء).

وقال يوحنا الـتلميذ أيضـا عن المسيح أنه قـال لتلاميـذه: «إن كنتم تحبـوني فاحفـضوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخـر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق

---

(١) جـ ٤ ص ٦ .

الذي لم يطق العالم أن يقتلوه لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتامًا لأني سآتيكم عن قريب».

وقال أيضًا : «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، روح الحق الذي من أبى، هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه».

وقال أيضًا : «إن خيرًا لكم أن أنطلق، لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته لكم، فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب).

وقال يوحنا الحواري :

(قال المسيح إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء..).

وأخذ الإمام ابن تيمية يوضح هذه البشارة، ويناقش أفهام النصارى حولها، وبدأ بلفظ «الفارقليط» في لغتهم، والأقوال التي ذكرت..

فقيل إنه الحماد، وقيل إنه الحامد، وقيل إنه المعزّ، وقيل إنه الحمد.. ورجح هذا طائفة وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد، أي حمد جيد.

ومن قال: معناه المخلص فيحتجون بأنها كلمة سريانية، ومعناها المخلص، وقالوا: هو مشتق من قولنا (فار)، ويقال بالسريانية (فاروق)، فجعل (فارق).

قالوا: ومعني (ليط) كلمة يراد بها التثبت والتقدير، كما يقال في العربية: رجل هو، وبدر هو.

والذين قالوا هو المعزّ، قالوا هو في لسان اليونان المعزّ.

ويُعترض على هذين القولين بأن المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية.

ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبراينة وترجم عنه بلغة أخرى.

لكن من الفارقليط؟ وكيف يفسره النصارى؟

نقل ابن تيمية أقوالاً ثلاثة هي:

١- روح نزلت على الحواريين.

٢- ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلت الآيات والأعاجيب.

٣- المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يومًا وكونه قام من قبره.

وتوالت بعد ذلك مناقـشات ابن تيميـة وتحليلاته الدقيقـة، ونحن نرتبها ونوجزها فـيما يلي:

إن تفسير الفارقليط بالروح أو المسيح باطل من وجوه:

١- إن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والـصالحين قبل المسيح وبعده، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب، وليست موصوفة بهذه الصفات.

وقـد قال الله تعـالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾. [المجادلة: ٢٢]

وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين: «**اللهم أيده بروح القدس**».

وقال: «**إن روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيِّه**».

٢- قوله: (فـارقليط آخر) دل على أنه ثان لأول كـان قبله،ولم يكن مـعهم في حـياة المسيح إلا هو لم تنزل عليـهم روح. فعلم أن الذي يأتي بعده نظيرًا له؛ ليس مـعتادًا يأتي الناس.

٣- إنه قال: «يثـبت معكم إلى الأبد»، وهذا إنما يكون لما يدوم ويـبقى معـهم إلى آخر الدهر.

ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته، فـعلم أنه بقاء شرعه وأمره، فـعلم أن الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد.

وهذا يبين أن الثاني صاحب شرع لا ينسخ بخلاف الأول، وذلك إنما ينطبق على محمد ﷺ.

٤- أخبـر عن الفارقليط أنه يشـهد له وأنه يعلـمهم كل شيء وأنه يذكِّرهم كل مـا قال المسيح.

ومعلوم أن هذا لا يكون إلا إذا شهد له شهادة يسـمعها الناس، ولا يكون هذا شيئًا في قلب طائفة قليلة.

ولـم يشهد أحد للـمسيح شهادة سمعـها عامة الناس إلا محمـدًا ﷺ، فإنه أظهر أمر

المسيح، وشهد له بالحق، وعلم أهل الأرض أنه صدق، ونزّهه عما افترته عليه اليهود وعما غلت فيه النصارى.

٥- أخبر المسيح أن الفارقليط يوبخ العالم على الخطيئة، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم إلا محمداً ﷺ، فإنه أنذر جميع العالمين من أصناف الناس، وبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان، وبخ المشركين والمجوس وأهل الكتاب المحرِّفين، وقال في الحديث الصحيح: «**إن اللّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**».

٦- إن المسيح أخبر عن الفارقليط أنه يعرفهم جميع ما للأب، وهذه الصفة لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن الملائكة، وعن الملكوت الأعلى وما أعده الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه. أمر لا يتحمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل.

وليس في الإنجيل من صفات الله وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة.

ومحمد ﷺ قد أخبر بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط والميزان والجنة ونعيمها والنار وعذابها.. (وكان إذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه كأنه منذر جيش، وقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

وقال: « **أنا النذير العريان** ».

فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يخبر به نبي من الأنبياء، فضلا عن أن يوجد شيء ينزل على قلب بعض الحواريين.

إن معنى (الفارقليط) إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعزّ، فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ، فإنه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال.

وهو -ﷺ- صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته.

ولم يعرف قط نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزّهم محمد ﷺ، فهو أحق باسم المعزّ من كل إنسان.

وأما معني المخلص فهو أيضًا ظاهر فيه، فإن المسيح هو المخلص الأول كما ذكر في الإنجيل، ويكون المخلص الآخر الذي يثبت معهم إلى الأبد هو محمداً ﷺ.

وأما ما ينزل في القلوب فلم يسمه أحد مخلصًا ولا فارقليط.

٨- عبارة إنجيل يوحنا عن المسيح: (إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء).

وقد ذكروا أن الأركون بلغـتهم عظيم القدر، والأراكنة العظماء، وقد أخـبر أنه سيأتي، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحدًا مثله.

ومعلـوم باتفاق أهل الأرض وبالضـرورة أنه لم يأت بعد المسـيح من ساد العـالم باطنًا وظاهرًا، وانقادت له القلوب والأجساد، وأطيع في السر والعـلانية، في محياه وبعد مماته، في جميع الأعصار وأفضل الأقاليم شرقًا وغربًا؛ أحد غير محمد ﷺ .

فإن الملوك يطاعـون ظاهرًا لا باطنًا، ولا يطاعون بعد موتهم ، ولا يطيـعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله..

ومن خلال هذا التـفصيل الدقيق، وهذا العلـم الغزير، وهذه الحجج المتواليـة يوكد ابن تيمة حقيقة مهمة، هي: لولا محمد ما عرف الأنبياء..!!

كيف؟!

يقول ابن تيـميـة : (محمـد ﷺ أظهر دين الرسل قـبله، وصدقهـم، ونوّه بذكرهم وتعظيمهم. فبه آمن بالأنبياء والرسل مثل موسى والمسيح وغيرهما أمم عظيمة، لولا محمد لم يؤمنوا بهم.

ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب؛ كانوا مختلفين فيه، كاختلاف أهل الكتاب في المسيح، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم. وأيضًا فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم).

* * *

٢- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب

مولف هذا الكتاب قسيس أسباني في القرن التاسع الهجري، هداه الله تعالى إلى الإسلام، يسمى «إنسلم تورميدا»، واشتهر بعبد الله الترجمان الأندلسي.

قدم تونس في زمن أمير المؤمنين أبي العباس أحمد الحفصي، وأسلم وسمى نفسه عبد الله، ووصف بالترجمان لقيامه بالترجمة في بلاط الخليفة، ولتعمقه في أكثر من لغة.

سبب التأليف :

ويسوق المؤلف سر اختياره لهذا النوع من التأليف فيقول:

(لما مَنَّ الله عليَّ بالهداية إلى الصراط المستقيم، والدخول في دين الله القويم، الناسخ لكل دين، الذي بعث به حبيبه وصفيه محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ونظرت في دلائله القاطعة، وبراهينه الساطعة، فإذا هي لا تخفى على من له أدنى تمييز، إلا من لا يبصر بيض النعام من الشونيز[٢].

ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين -رضي الله عنهم- محتوية على مالا مزيد عليه، إلا أنهم -رحمهم الله- قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول، إلا الحافظ أبا محمد بن حزم -رحمه الله- فإنه قد ردَّ عليهم بالمعقول والمنقول، خصوصًا ما في كتبهم، وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا في نادر من المسائل.

فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعًا بطريق النقل وحقيقة الإنصاف، الذي يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس، أُبيِّن فيه باطلهم، وما أسَّسوه من القول بالتثليث، والأخذ بذلك المذهب الخبيث، وأذكر مع ذلك أناجيلهم ومن ألفها وشرائعهم ومن صنفها، وفساد عقولهم، وإبطال كفرهم في منقولهم، وافترائهم على عيسى المسيح، وكذبهم على الله في أمره بالصريح، وأذكر مقال القسيسين واعتقادهم واحتيالهم وتركهم للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وجحدهم فيه من

(١) تحقيق الدكتور محمود على حماية، طبعة دار المعارف بمصرسنة ١٩٨٤م.

(٢) الحبة السوداء.

صفات نبينا محمد ﷺ، ثم نذكر حقيقة قربانهم وسجودهم لصلبانهم -أبعدهم الله تعالى وأخزاهم- حتى ألهمني الله تعالى إلى الرأى السديد في تأليف هذا المختصر السعيد»[1].

منهج المؤلف :

ثم يعرض المؤلف منهجه في تصنيف الكتاب قائلاً :

(وجعلته ثلاثة فصول ليسهل مطالعته على الناظر ولا يمله الخاطر:

الفصل الأول :

في ابتداء إسلامي، وخروجي من الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية، وفيما غمرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد، وما اتفق لي في أيامه.

الفصل الثاني :

فيما اتفق لي في أيام مولانا أمير المومنين أبي فارس عبد العزيز، ونذكر طرفا من سيرته الحميدة وآثاره الجليلة وقت تصنيفي لهذا الكتاب وهو عام ثلاث وعشرين وثمان مائة من الهجرة النبوية.

الفصل الثالث :

في مقصود الكتاب من الرد على النصارى في دينهم، وثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وبتمامه يتم الغرض في تصنيف هذا الكتاب بحول الله تعالى[2]».

ويعنينا هنا قصة إسلام هذا القسيس وكيف بدأت؟!

يخبرنا المؤلف أنه لما بلغ ست سنين أرسله والده إلى معلم من القسيسين فقرأ عليه الإنجيل حتى حفظ أكثر من شطره في سنتين، ثم أخذ في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين، ثم ارتحل إلى مدينة ذات أهمية عند النصارى، يجتمع فيها طلاب العلم لدى أحد القساوسة، فلازمه ملازمة تامة قرأ فيها الإنجيل ولغته وبعض العلوم الأخرى مدة عشر سنين، ثم ارتحل إلى مدينة ثالثة يجتمع فيها كل عام من الآفاق أكثر من ألفي رجل يطلبون العلم ولا يلبسون إلا لباسًا واحدًا متشابهًا يميزهم كطلاب، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرءون عليه.

(١) ص ٢٧ ـ ٢٩ .

(٢) ص ٣٠ ، ٣١ .

وهناك تعرّف المؤلف بقسيس كبير السن والقدر معًا، اسمه نقلاد مرتيل، انفرد بالهيبة والمكانة عن جميع أهل دين النصرانية، وكانت الأسئلة ترد عليه من الآفاق من الملوك وغيرهم.

واستطاع المؤلف أن يتقرّب إلى هذا القسيس، ويحظى عنده بالثقة حتى أعطاه مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله، وصار كل شيء بيدي هذا الطالب النجيب، ولم يستثن القسيس من ذلك شيئًا سوى مفتاح بيت صغير داخل مسكنه، كان يخلو فيه، هو بيت خزانة أمواله التي تهدى إليه.

ثم تأتي لحظة البداية، وأول الغيث قطرة. يقول المؤلف:

(فلازمته على ماذكرنا من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين،ثم أصابه مرض يومًا من الدهر، فتخلف عن مجلس قراءته، وانتظر أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام أنه يأتي من بعدي نبي اسمه البارقليط، فبحثوا في تعيين هذا النبي، من هو من الأنبياء؟!

وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم، وكثر جدالهم، ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة عن تلك المسألة.

فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟!

فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط، وأن فلانًا قد أجاب بكذا، وأجاب فلان بكذا، وسردت أجوبتهم.

فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل، فقال لي: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله، لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل.. فبادرت إلى قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدي، قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيدة، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل عليَّ بمعرفة هذا الاسم الشريف..»(١).

---

(١) ص ٣٧ ـ ٣٩.

هنا بدأت بشائر الخير، وجاءت لحظة المخاض للميلاد الجديد في الدين..

يقول المؤلف: (فـبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي، والله إنك لتـعزّ عليَّ كثـيراً من أجل خدمتك لي، وانقطاعك إلي، وإن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكن أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين.

فقلت له: يا سـيدي، والله العظيم وحق الإنجيل ومن جـاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا عن أمرك).

ثم أفصح القسيس عن السر المكتـوم قائلاً: (فاعلم يا ولدي أن «البارقليط» هو اسم من أسمـاء نبيـهم محـمد ﷺ، وعليه أنزل الـكتاب الرابع المذكـور على لسان دانيـال عليه السلام، وأخـبر أنه سينزل هذا الكتاب عليـه، وأن دينه دين الحق، وملته هي الملة البيـضاء المذكورة في الإنجيل).

هنا بدأ الشاب يسائل القسيس تساؤلات متوالية:

(قلت له : يا سيدي ، وما تقول في دين النصارى؟

فقال لي: يا ولدي، لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى.

فقلت له: وكيف الخلاص من هذا الأمر؟

فقال : يا ولدي ، بالدخول في دين الإسلام.

فقلت له: وهل ينجو الداخل فيه؟

فقال : نعم ينجو في الدنيا والآخرة.

فقلت له: يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه؟

فقال لـي: يا ولدي، إن الله تعالى لم يطلعني على حقـيقة ما أخبـرتك به من فضـل دين الإسلام وشـرف نبي الإسلام إلا بعد كبـر سني ووهن جسمي،ولا عـذر لنا فـيه، بل حجـة الله علينا قائمـة، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتـركت كل شيء ودخلت في دين الحق.

وحب الدنيا رأس كل خطيئـة، فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفـعة الجاه والعز والشرف وكـثرة عرض الدنيـا، ولو أني ظهر عليَّ شيء من الميل إلى دين الإسـلام لقتلتني

العامة في أسرع وقت، وهب أنـي نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين، وأقـول لهم: إني جئتكم مسلمًا، فيقـولون لي : قـد نفعت نفـسك بالدخول في دين الحق فـلا تمنّ علينا بدخولك في دين خلّصت به نفـسك من عذاب الله ، فأبقى بينهم شيـخًا كبيرًا فـقيرًا ابن تسعين سنة ، لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي ، فأموت بينهم جوعًا ، وأنا ـ والحمد لله ـ على دين عيسى ، وعلى ما جاء به يعلم الله ذلك مني .

فقلت له : يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين ، وأدخل في دينهم ؟

فقال لي : إن كنت عاقلاً طالبًا للنجاة فبادر إلى ذلك ، تحصل لك الدنيا والآخرة [1].

لكن القسيس العـجوز الذي استحكمت فيه الـعقيدة الفاسدة وتمكنت منه الدنيـا وعسر عليه الجهر بالحق ـ حذر الشاب قائلا :

ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحـضره أحد معنا الآن ، فاكـتمه بغاية جـهدك ، وإن ظهر عليك شيء منه تقـتلك العامة لحـينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينـفعك أن تنقل ذلك عني ، فإني أجـحده ، وقولي مصـدق عليك ، وقولك غير مـصدق عليّ ، وأنا بريئ من دمك إن فهت بشيء من هذا) .

وأخيرًا ، ودّع الشاب هذا القسـيس العجوز ورحل إلى أرض المسلمين بتونس ، وهناك أعلن إسلامه في حـضرة السلطان وأمام جمع من النصارى الذين يعـرفون مكانته في دينهم وعلو منزلته في علومهم .

الرد على النصارى :

وإذا طوينا بعض صفحات الكتاب لنصل إلى الفصل الثالث نجده قد **خصصه للرد على النصارى بنص أنـاجيلهم** ، وجعله مشتملاً على تسعة موضوعات :

الأول : في ذكر الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ، وبيان كذبهم لعنهم الله .

الثاني : في افتراق النصارى على مذاهبهم وعدد فرقهم .

الثالث : في فساد قواعد دين النصارى والرد عليهم في كل قاعدة منها بنص أناجيلهم.

الرابع : في عـقيدة شـرائعهم التي يتـعلمهـا صغـيرهم وكبـيرهم والرد عليـهم بأصل أناجيلهم .

الخامس : في بيان أن عيسى عليه السلام ليس بإله كما افترى النصارى .

---

(١) ص ٣٩ ـ ٤١ .

السادس : في اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ، وبيان كذبهم.

السابع : فيما نسبوا إلى عيسى عليه السلام من الكذب وهم الكاذبون .

الثامن : فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزّهم الله تعالى .

التاسع : في ثبوت نبوة نبينا محمـد عليه الصلاة والسلام بنص الزبور والتوراة والإنجيل وبشارة الأنبيـاء صلوات الله عليهم أجمعـين ، وما أخبر به الأنبيـاء من صحة بعثـته وبقاء ملته .

ونقف متأملين ما كتبه في هذا الموضوع الأخير فنجد أن المؤلف ذكر **مجموعة بشارات** هي :

الأولى : ما في الفصل السادس عشر من الكتاب الأول من التوراة : أن هاجر لما هربت من سـارة زوج إبراهيم ، رأت في تلك الليلة ملكًا من المـلائكة فقـال لهـا : يا هاجر مـا تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟

قالت : هربت من سارة ، قال : ارجعي إليها واخـضعي لها ، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك ، وعن قريب تحملين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل ، لأن الله قد سمع خشوعك ، ويكون ولدك أعين الناس وتكون يده فوق الجمـيع ، ويد الجميع مبسوطة إلـيه بالخضوع ، ويكون أمره في معظم الدنيا .

ومعلوم أن إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا مـتصرفين في معظم الدنيا ، وإنما الإشارة بذلك لعظيم ذريته وهو نبـينا محمد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ لأن دين الإسلام علا على أهل الأرض .

الثانية : ما في الفصل الثامن عشر من الكتاب الخامس من التوراة :

أن الله تعالى قال لموسى علـيه السلام : قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخـر الزمان نبيًا مثلك من بني إخوتهم ، ومن لم يستمع كلمتي التي يؤديها عني أنتقم منه .

وهذا النص يدل على أن هذا النبي الذي يقـيمه لبني إسرائيل في آخـر الزمان ليس من نسلهم ولكنه من بني إخوتهم ، وكل نبي بعد موسى كـان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام ، فلم يبـق من بني إخوتهم إلا نبينا محمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه من ولد إسماعيل أخي إسحق جدّ بني إسرائيل .

الثالثة : ما في الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب الخامس من التوراة :

إن الرب تعالى جاء من طور سيناء ، وطلع إلينا من ساعير ، وظهر من جبل فاران .

يعني مكة وأرض الحجاز ، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض ، فكان الحجاز وتخومه لفاران ، فتسمى القطر كله باسمه .

الرابعة : ما اتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة :

أن عيسى عليه السلام قال للحواريين ـ حين رفع إلى السماء ـ : إني أذهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ، وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه بارقليط .

وهذا الاسم الشريف هو باللسان اليوناني ، وتفسيره بالعربية أحمد ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ وهو في الإنجيل باللطيني (براكلتس) وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلام المؤلف .

الخامسة : ما قال داود عليه السلام في الزبور في الفصل الثاني والسبعين : إنه يملك من البحر إلى البحر ، ومن أدنى الأنهار إلى مقطع الأرض ، وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا ، ويسجد له الملوك ، وتدين له بالطاعة والانقياد ، ويصلي عليه في كل وقت ، ويبارك في كل يوم ، وتنوّر أنوراه المدينة ، ويدوم إلى أبد الأبد ، واسمه موجود قبل وجود الشمس .

وهذه كلها صفات نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والوجود يشهد له ، وكل من دفع هذه الصفات عنه فلا يجد في العالم أحدًا يستحقها ، وإن ادّعاها مدّعٍ لغيره من الأنبياء كان مجاهراً بالبهتان .

السادسة : ما قاله النبي أبقوق في الفصل الثالث من كتابه :

في آخر الزمان يجيء الرب من القبلة ، والقدوس من جبال فاران .

ومجيء الرب تبارك وتعالى مجيء وحيه ، والقدوس هو نبينا محمد[1] ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظهر من جبال فاران وهي مكة وأرض الحجاز .

السابعة : ما قاله النبي ميشا (أي ميخا) في الفصل الرابع من كتابه :

في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة ، وتختار الجبل المبارك ، يعبدون الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ، ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئًا .

---

(١) هكذا فسره المؤلف ولم يعقب عليه المحقق ، وأرى أن كلمة القدوس معطوفة على كلمة الرب ، والمعنى : يجيء القدوس من جبال فاران ، ومجيئه هو مجيء وحيه ، فالقدوس اسم من أسماء الله الحسنى .

وهذا هو جبل عرفات بلا شك ، والأمة المرحومة هي أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجيج بعرفات وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم .

الثامنة : ما قاله النبي ميشعيه (أي أشعيا) في الفصل الثاني والأربعين من كتابه : إن الرب سبحانه يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه ، يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه ، وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين ، ويحكم بين الناس بالحق ويمشي بينهم بالعدل ، وهو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا عليها رقوداً ، وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون .

وهذه كلها صفات نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضحة مبينة .

وقد وعد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يجمع البشارات كلها في كتاب منفرد على وجه التفصيل .

ولسنا ندري هل سنحت له الظروف أم لا ؟

وقد سألت صديقنا الفاضل محقق الكتاب عن ذلك ، فأجاب بأنه لم يعثر في ترجمة المؤلف على كتاب بهذا المعنى .

* * *

٣ - إظهار الحق

كتـاب قيم انتـفع به كل من كتب في تاريخ الأديان ومـقارنتهـا في العصـر الحديث ، ويعرف فـضله كل منصف وباحث عن الحق . . وقد رأى صاحب تفـسير المنار أن يقـتبس بالنص ما كتبه المؤلف عن البشارات المحمدية[١].

وقد كان جـهدًا مباركًا ، وعـملاً جليلاً في الدفاع عن الإسـلام في بلاد الهند ، خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

ومؤلف الـكتاب[٢] هو الإمام العلامة الشيـخ رحمة الله بن خليل الرحمن ولـد فـي بلدة (كيرانـه) بالقرب من (دلهي) عاصمة الهند ، في شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨م) ، من أسرة كريمة ينتـهي نسبها إلى ذي النورين عثمـان بن عفان رضي الله عنه .

موضوع المناظرة :

وللشيخ المؤلف جهاد كبـير في مقاومة التنصير والتسلط الاسـتعماري الإنجليزي ، ومن مواقفه المشهـودة تلك المناظرة الفريدة التي دعا إليها رئيس البعثة التبـشيرية القسيس فندر ، فوافق القسيس، **واتفق الجانبان على موضوع المناظرة** ، وهو :

١ ـ التحريف والتناقض في التوراة والإنجيل ، وخلو القرآن الكريم من ذلك .

٢ ـ وقوع النسخ في أحكام العهدين القديم والحديث .

٣ ـ إبطال مزاعم النصارى حول ألوهية عيسى عليه السلام .

٤ ـ إثبات أن القرآن كلام الله تعالى ومعجزته الخالدة .

٥ ـ إثبات نبوة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبشارة الأنبياء ببعثته .

وكان من أهم شروط المناظرة أنه إذا لم يستطع أحدهمـا الإجابة عن الأسئلة الموجهة من الطرف الآخر وعجز عنها انتقل من دينه وآمن بالدين الآخر .

وعُقدت جلستان ، حـضرهما حاكم المدينة والقائد العسكري وكـبار موظفي الحكومة ، والعلماء والقضاة وجمهور كبير من عامة الشعب، وذلك في شهر رجب عام ١٢٧٠ هـ .

---

(١) تفسير المنار (٨/ ١٩٩) ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب .

(٢) إخراج وتحقيق عمر الدسوقي ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت .

وابتدأت المناظرة بموضوع النسخ والتحريف، وأثبت الشيخ أن التحريف في بعضه كان عن عمد، وأحيانًا يأتي بالزيادة، وأخرى بالنقص، كما جاء التحريف بالتبديل اللفظي .

وساق الشيخ على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهدًا ، وعلى التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهدًا ، وساق على التحريف بالنقص عشرين شاهدًا .

وفند الشيخ بعض المغالطات التي يثيرها النصارى زاعمين أن دعوى التحريف في العهدين القديم والجديد لم يقلها أحد إلا المسلمين ، أو أن المسيح شهد بحقية العهد القديم ، أو أن اليهود والنصارى من أهل الديانة ، فيبعد أن يتجاسروا على التحريف ، أو أن نُسخ الكتاب المقدس كانت منتشرة شرقًا وغربًا فلا يمكن تحريفها ، أو أن بعض نسخ الكتاب المقدس كتبت قبل زمان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما زالت موجودة إلى الآن .

وقد أتى الشيخ على هذه المغالطات من القواعد ، وساق الدليل تلو الدليل على بطلانها وكذبها .

وفي موضوع النسخ ، قسمه إلى نوعين :

١ ـ النسخ الذي يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق .

٢ ـ النسخ الذي يكون في شريعة نبي لحكم آخر من شريعة هذا النبي . وقدم الشيخ أمثلة عديدة للقسمين في العهد القديم والجديد ، وأكد أنها غير محصورة . . فقد ذكر للنوع الأول واحدًا وعشرين مثالاً ، وللنوع الثاني اثني عشر .

ومن خلال هذا العرض الموضوعي لم يستطع القسيس مواصلة المناظرة ، وبهت الذي كفر ، واختفى القسيس . . . !!

الهجرة إلى مكة :

وبقي الشيخ شامخًا قويًا يواصل جهاده المقدس في البلاغ والبيان ، وشحذ الهمم لمقاومة الاستعمار ، فضاق الإنجليز ذرعًا بالشيخ ، وتعقبوا خطواته ، وأصدروا حكمًا بإعدامه ، **فخرج مهاجرًا إلى الله ، حتى وصل مكة المكرمة** عام ١٢٧٤ هـ فاحتفى به علماء الحرم الشريف ومنحوه إجازة التدريس في المسجد الحرام .

ووقع ما يشبه الخيال ، فعندما اختفى القسيس (فندر) بعد هزيمته أمام جمهور الهند ـ ذهب إلى القسطنطينية ، وأشاع أن علماء المسلمين في الهند انهزموا ، وأن المساجد حُوِّلت إلى كنائس ، وأن النصرانية سادت هناك .

ففزع السلطان عبد العزيز وطلب معرفة الحقيقة من والي مكة عن طريق الحجاج الهنود، فأجاب الوالي يومئذ بأن الشيخ رحمة الله الهندي موجود في مكة ، وأن اسمه في السجل الرسمي لعلماء المسجد الحرام .

فبادر الخليفة العثماني وأصدر أمرًا بضرورة حضور الشيخ فوصل إلى القسطنطينية عام ١٢٧٩ هـ .

وما كاد القسيس فندر يسمع بقدوم الشيخ حتى ولى هاربًا ولم يُعلم عنه شيء .

وقد أكرم الخليفة الشيخ إكرامًا بالغًا ، وأنعم عليه بالخلعة السلطانية وبالوسام المجيدي من الدرجة الثانية ، وجعل له مرتبًا شهريًا ، وعينه في مجلس الوالي بمكة المكرمة ، وطلب منه تأليف كتاب يشمل المسائل الجوهرية والمباحث الأساسية التي دارت حولها المناظرة في الهند .

فشرع الشيخ في تأليف هذا الكتاب في شهر رجب عام ١٢٨٠ هـ ، وأكمله في ستة أشهر ، وطبع في تركيا ، ووزع في البلاد الإسلامية ، وترجم إلى اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية .

وعلقت جريدة (لندن تايمز) في ذلك الوقت قائلة : لو داوم المسلمون على مطالعة وقراءة هذا الكتاب لتوقف كليًا انتشار الدين المسيحي وأبت النفوس من قبوله ، واستقاموا على الإسلام[1] .

وعاد الشيخ إلى مكة المكرمة ، وأسس مدرسة دينية ، تعدّ الأولى من نوعها في الجزيرة العربية ، عرفت باسم المدرسة الصولتية ، نسبة إلى أميرة هندية تبرعت بإنشائها هي السيدة صولت النساء .

وظل الشيخ في جهاده العلمي المبارك حتى وافاه الأجل المحتوم في شهر رمضان عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) ، ودفن بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بمقبرة المعلاة .

مسالك إثبات النبوة :

هذا ويعنينا هنا أن نقف أمام الباب السادس من كتابه (إظهار الحق) وهو بعنوان : (في إثبات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودفع مطاعن القسيسين) .

---

(١) إظهار الحق (٢/ ١٥) .

وقد سلك في إثبات النبوة مسالك ستة هي :

الأول : أنه ظهرت على يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مـعجزات كثيرة قـولية وفعلية، أوصلها الشيخ إلى سبعين معجزة .

الثاني : أنـه قد اجتـمع فيـه صلى الله عليه وسلم من الأخـلاق العظيمـة والأوصاف الجزيلة ، والكمـالات العلميـة والعملية ، والمحـاسن الراجعة إلى النفـس والبدن والنسب والوطن ـ ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي .

فإن كل واحد منها وإن كـان يوجد في غير النبي أيضًا ، لكن مجمـوعها مما لا يحصل إلا للأنبياء .

الثالث : ما اشتملت عليه شريعته الغـرّاء مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات ، والسيـاسات ، والآداب ، والحكم . . . ممـا يعلم قطعًا أنها ليـست إلا من الوضع الإلهي والوحي السماوي ، وأن المبعوث بها ليس إلا نبيًا .

الرابع : أنه عليـه السـلام ادَّعى بين قـوم لا كـتاب لهم ولا حكمـة فيهم أني بُعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لأنوِّر العالم بالإيمان والعمل الصالح .

وانتصب ـ مع ضعـفه وفقره وقلة أعـوانه ـ مخالفًا لجميع أهل الأرض حـتى ظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شـرقًا وغربًا ، ولم يقدر الأعداء ـ مع كـثرة عَددهم وعُددهم ، وشدة شوكتهم وشكيمتهم ، وفرط بغضهم وحميَّتهم ، وبذل غاية جهدهم ـ في إطفاء نور دينه .

فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوي ؟ !

الخامس : أنه ظهر في وقت كان الناس محتـاجين إلى من يهديهم إلى الصراط المستقيم ويدعوهم إلى الدين القويم . . .

السادس : إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوَّته عليه السلام .

وهذا المسلك هو بيت القصيد في موضوعنا .

أمور تجب معرفتها :

وقد استحسن المؤلف أن يقدم **أموراً ثمانية قبل ذكر البشارات**[1]:

الأمر الأول :

أن الأنبياء الإسرائيليين مثل أشعيا وأرميـا ودانيال وحزقيال وعيسى أخبروا عن الحوادث

---

(1) المرجع السابق (٢/ ص ٣٢٧ ـ ٣٦٢ بتصرف) .

الآتية ، كحادثة بختنصر وقورش وإسكندر وحلفائه وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوي وبابل ، ويبعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم عن خروج محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، تلك الحادثة التي هي أعظم الحوادث .

الأمر الثاني :

أن النبي المقدم إذا أخبر عن النبي المتأخر لا يشترط في إخباره أن يخبر بالتفصيل التام بأنه يخرج من القبيلة الفلانية ، في السنة الفلانية ، في البلد الفلاني ، وتكون صفته كيت وكيت . . . بل يكون هذا الإخبار في غالب الأوقات مجملاً عند العوام ، وأما عند الخواص فقد يصير جليًا بواسطة القرائن وقد يبقى خفيًا عليهم أيضًا لا يعرفون مصداقه إلا بعد ادّعاء النبي اللاحق أن النبي المتقدم أخبر عنه ، وظهور صدق ادّعائه بالمعجزات وعلامات النبوة ، وبعد الادّعاء وظهور صدقه يصير جليًا عندهم .

الأمر الثالث :

ادّعاء أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيًا آخر غير المسيح وإيلياء ادّعاء باطل لا أصل له، بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضًا ، لأن علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولاً : أنت المسيح ؟

ولما أنكر سألوه : أنت إيلياء ؟

ولما أنكر سألوه : أنت النبي ؟ أي النبي المعهود الذي أخبر به موسى .

فعلم أن هذا النبي كان منتظرًا مثل المسيح وإيلياء ، وكان مشهورًا بحيث ما كان محتاجًا إلى ذكر الاسم بل الإشارة إليه كانت كافية .

الأمر الرابع :

ادّعاء أن المسيح خاتم النبيين ولا نبي بعده باطل لما عرفت في الأمر الثالث أنهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وإيلياء .

ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح فهو بعده ولأنهم معترفون بنبوّة الحواريين وبولس وغيرهم .

ولا متمسك لهم في قول عيسى من الباب السابع من إنجيل متى :

احترزوا من الأنبياء الكذَبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة.

فالاحتراز من الأنبياء الكذَبة لا من الأنبياء الصدقة ، وليس من كل نبي بعده فهم يثبتون النبوَّة لكثيرين بعده .

الأمر الخامس :

البشـارة التي نقلها المسـيحيـون في حق عيسى عليـه السلام لا تصدق عـليه ، في نظر تفاسـير اليهـود وتأويلاتهم ، ولذلك فهم ينكرونه أشـد الإنكار وما زال اليـهود في ترقب لمسيحهم المنتظر .

والعلماء المسيـحيون لا يلتفتون في هذا البـاب إلى تفسيرات اليهود ، ويعـتقدون صدق مفهومها على عيسى عليه السلام .

كذلك تأويلات المسيـحيين في البشارات التي هي في حق محـمد صلى الله عليه وسلم مردودة غيـر مقبولة عندنا ، بل إن البـشارات التي ننقلها في حق محمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أظهر صدقًا من البشارات التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى عليه السلام .

الأمر السادس :

مؤلفو العهد الجـديد باعتقاد المسيحيين ذوو إلهام ، وقد نقـلوا البشارات في حق عيسى عليه السلام ، فيكون هذا النقل على زعمهم بالإلهام .

وقد أثبت المؤلف أن البعض منها غلط يقينًا ، والبـعض منها محرَّف ، والبعض منها لا يصدق على عيسى عليه السلام إلا بالادعاء البحت والتحكم الصرف .

ومع ذلك يسلك القسـيسون مسلك الاعـتساف في تأويلها وصـدقها على عسـيى عليه السلام .

فلا عجب إذا صرفوا البشارات المحمدية عن وجهها الصحيح ، فذلك دأبهم القائم على العجز والتعصب .

الأمر السابع :

أن أهل الكتاب سلفًا وخلفًا عادتهم جـارية بأنهم يترجمون غالبًا الأسمـاء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها ، وهذا خبـط عظيم ومنشأ للفساد ، وأنهم يزيدون تارة شيئًا بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم ولا يشيرون إلى الامتياز .

وهذان الأمران بمنزلـة الأمور العادية عندهم ، ومن تـأمّل في تراجمهم المتـداولة بألسنة

مختلفة وجد شواهد تلك الأمور كثيرة .

نماذج لترجمة الأسماء :

وقد أورد المؤلف ـ على سبيل المثال ـ ثلاثة عشر أنموذجًا علي ترجمة الأسماء منها :

١ ـ في الآية الحادية عشر من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا :

« تبقى في النهر فقط » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا :

« تبقى في النيل فقط » .

٢ ـ وفي الآية الرابعة عشـر من الباب الحادي عشر مـن إنجيل متى في الترجمـة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ هكذا :

« فإن أردتم أن تقبلوه فهو إيلياء المزمع أن يأتي » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا :

« فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان » .

٣ ـ وفي الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا :

« لما علم يسوع » .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠ هكذا :

« لما علم الرب » .

فأمثال هؤلاء لو بدلوا اسمًا من أسماء النبي مـحمد صلى الله عليه وسلم في البشارات فلا عجب .

نماذج للكلام التفسيري :

وساق المؤلف أحد عشـر شاهدًا على إلحاق كلامهم التفسـيري بالنص المقدس عندهـم ، منها :

في الآية الرابعة والثلاثين من البـاب السابع من إنجيل مرقس في الترجمـة المطبوعة سنة ١٨١٦ :

ونظر إلى السماء وتأوَّه وقال افثا يعني انفتح .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ :

ونظر إلى السماء وتنهد وقال افاثا الذي هو انفتح .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ :

ونظر إلى السماء وتنهد وقال له انفتح الذي هو انفتح .

وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ :

ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له افثا أي انفتح .

ومن هذه العبارة لا يعلم صحة اللفظ العبراني ، أهو (افثا) أو (افاثا) أو (انفتح).

كذلك يتـضح يقينًا أن لفظ (أي انفـتح) أو (الذي هو انفتح) إلحـاقي ليس من كلام عيسى عليه السلام .

وهكذا فلو زادوا شيئًا بطريق التفسير من جانب أنفـسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم .

ومما يجب التأكيد عليه والتنبيه إليه :

أن الإصلاح والتغـيير والتحريـف جار في كتبهم ورسـائلهم التي يترجمونهـا حينًا بعد آخر.

الأمر الثامن :

أن بولس ـ وإن كان عند أهل التثليث في رتبة الحواريين ـ غير مقبول عندنا ولا نعدّه من المؤمنين الصـادقين ، بل من المنافـقين الكذابين ، ومـعلمي الزور والرسل الخـداعين الذين ظهروا بالكثرة بعد عروج المسيح .

وكان في ابتـداء الأمر مؤذيًا للطبقـة الأولى من المسيحيين جـهرًا ، لكنه لما رأى أن هذا الإيذاء الجهري لا ينفع نفعًا معتـدًا به ؛ دخل على سبيل النفاق في هذه الملة وادّعى رسالة المسيح فأفسد الدين وأباح كل محرَّم .

وبالتالي فلم ينقل عنه المؤلف شـيئًا في مسلك البشارات المحمـدية ، واكتفى بالنقل عن الكتب المعتبرة عند العلماء البروتستنت .

البشـارات :

ثم ذكر المؤلف ثماني عـشرة بشارة ، بيَّن مواضـعها من كتب العهـد القديم والجديد ، وناقش بالتفـصيل دلائل صدقهـا على الرسول العربي ، وردّ مـزاعم أهل الكتاب في هذا الشأن ردًا موضوعيًا .

وهذه البشارات هي[1] :

البشارة الأولى :

في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا :

« فقال الرب لي نعم جميع ما قالوا .

وسوف أُقيم لهم نبيًا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به .

ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك .

فأما النبي الذي يجترئ بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيري فليقتل .

فإن أحببت وقلت في قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلم به الرب .

فهذه تكون لك آية ، إن ما قاله ذلك النبي في اسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه ، ولذلك لا تخشاه » .

وهذه البشارة ليست بشارة يوشع ـ عليه السلام ـ كما يزعم الآن أحبار اليهود ، ولا بشارة عيسى عليه السلام كما يزعم علماء البروتسنت ، بل هي بشارة محمد صلى الله عليه وسلم لعشرة وجوه ساقها المؤلف .

البشارة الثانية :

الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء ، هكذا :

« هم أغاروني بغير إله ، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ، وأنا أيضًا أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم » .

والمراد بشعب جاهل العرب ، لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال ، وما كان عندهم علم، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية ، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام ، وكانوا محقَّرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية .

فمقصود البشارة أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون ، فأوفى بما وعد ، فبعث من العرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى في سورة الجمعة :

(١) إظهار الحق (٢/ ص ٣٦٢ ـ ٤٤٠ بتصرف) .

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

البشارة الثالثة :

في الباب الثـالث والثلاثين من سفر الاسـتثناء في الترجـمة العربية المطبـوعة ١٨٤٤ م هكذا:

«وقال جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة من نار».

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام.

وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام.

واستعـلانه من جبل فاران إنزاله القرآن، لأن فـاران جبل من جبال مكة. . فـفي الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسماعيل عليه السلام هكذا:

«وكان الله معه، ونما وسكن في البرية، وصـار شابًا يرمي بالسهام، وسكن برية فاران، وأخذت له امرأة من أرض مصر».

ولاشك أن إسماعيل عليه السلام كان بمكة.

البشارة الرابعة :

في الآية العشرين من البـاب السابع عشر من سفر التكوين وعـد الله في حق إسماعيل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا: «وعلى إسماعيل أستجيب لك، هو ذا أباركه، وأكبره وأكثره جدًا، فسيلد اثنى عشر رئيسًا وأجعله لشعب كبير».

وقوله: «أجعله لشعب كـبير» يشير إلى محمـد ﷺ، لأنه لم يكن في ولد إسماعيل من كان لشعب كبير غيره.

وقد قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . [البقرة: ١٢٩]

البشارة الخامسة :

الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين هكذا في الترجمة العربية سنة ١٧٢٢، ١٨٣١، ١٨٤٤ :

«فلا يزول القضيب من يهوذا، والمدبر من فخذه حتى يجئ الذي له الكل، وإياه تنتظر الأمم».

وفي الترجمة العربية سنة ١٨١١ :

«فلا يزول القضيب من يهوذا، والرسم من تحت أمره إلى أن يجئ الذي هو له، وإليه تجتمع الشعوب».

والمراد من القضيب : السلطة الدنيوية، ومن المدبر: الحاكم الدنيوي والرسم: هو الشريعة.

فسيدنا محمد ﷺ هو صاحب الشريعة التي نسخت الشرائع، واجتمعت إليه الشعوب، فهو ﷺ صاحب الرسالة العامة الخالدة. وقد أبطل المؤلف أن يراد بهذه البشارة مسيح اليهود كما هو مزعومهم، أو عيسى عليه السلام كما هو مزعوم النصارى.

البشارة السادسة :

الزبور الخامس والأربعون هكذا :

«فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالي للملك.

لساني قلم كاتب سريع الكتابة.

بهي في الحسن أفضل من بني البشر.

انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر.

تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك.

استلّه وانجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق، وتهديك بالعجب يمينك.

نَبْلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك، الشعوب تحتك يسقطون.

كرسيُّك يا الله إلى دهر الداهرين، عصا الاستقامة عصا ملكك.

أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك.

المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك.

بنات الملوك في كرامتك، قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشّى.

اسمعي يا بنت وانظري بأذنيك وانسي شعبك وبنت أبيك.

فيشتهي الملك حسنك لأنه هو الرب إلهك وله تسجدين.

بنات صور يأتينك بالهدايا، لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب.

كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشي.
يبلغن إلى الملك عذارى، في أثرها قريباتها إليك يقدمن.
يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك.
ويكون بنوك عوضًا من آبائك، وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض.
سأذكر اسمك في كل جيل وجيل، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين».

فهذه صفات سيدنا محمــد ﷺ المبشر له في الزبور، فهو أحسن الناس وجهًا، وسيد ولد آدم، وأفصح الناس لـهجة، وأشــجع الناس وأنجدهم وأجودهم، وأعـظم الناس أمانة وأصدقهــم حديثًا، وخير من جــاهد في سبيل الله، وقد صــارت بنات الملوك والأمراء في خدمته ﷺ وخدمة أصحابه، وبعث إليه ملوك العالم بالهدايا، ودخل الناس في دين الله أفوجًا، ورفع الله ذكره في العالمين، ففي أرجاء الأرض المختلفة يرفع النداء العلوي: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله».

ولا تصدق هذه الأوصاف في حق عيسى عليه السلام كـما يدعيه النصارى، فلا يصدق عليه كـونه متــقلدًا بالسيف، ولا كون نبلــه مسنونة، ولا انقيــاد الأغنياء ولا إرســالهم إليه الهــدايا، بل هو على زعم النصــارى أخذوه وأهانوه واســتهــزأُوا به وضــربوه بالسيــاط ثم صلبوه، وما كان له زوجة ولا ابن، فلا صــدق دخول البنات في بيته ولا كون أبنائه رؤساء الأرض.

البشارة السابعة :

في الزبور المائة والتاسع والأربعين هكذا :
«سبحوا الرب تسبيحًا جديدًا، سبحوه في مجمع الأبرار.
فليفرح إسرائيل بخالقه، وبنو صهيون يبتهجون بملكهم.
فليسبحوا اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار يرتلوا له.
لأن الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص.
تفتخر الأبرار بالمجد، ويبتهجون على مضاجعهم.
ترفيع الله في حلوقهم، وسيوف ذات فمين في أياديهم.
ليصنعوا انتقامًا في الأمم وتوبيخات في الشعوب.

ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بأغلال من حديد ليضعوا بهم حكمًا مكتومًا.

هذا المجد يكون لجميع الأبرار».

فالمبشَّر به محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ويصدق جميع الأوصاف المذكورة في هذا الزبور عليه وعلى أصحابه.

وليس المبشَّر به سليمان عليه السلام، لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه على زعم أهل الكتاب، ولأنه صار مرتدًا عابدًا للأصنام في آخر عمره على زعمهم.

وليس المبشَّر به عيسى عليه السلام، لأنه بعيد كل البعد عن هذه الأوصاف المذكورة، ولأنه أسر ثم قُتل على زعمهم، وكذا أسر أكثر حوارييه بالقيود والأغلال ثم قتلوا بأيد الملوك الكفار..

البشارة الثامنة :

في الباب الثاني والأربعين من كتاب أشعيا هكذا :

«التي قد كانت أولاها قد أتت، وأنا مخبر أيضًا بأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم إياها.

سبحوا للرب تسبيحة جديدة، حَمْده من أقاصي الأرض راكبين في البحر، وملؤه الجزائر وسكانهن.

يرتفع البرية ومدتها في البيوت نحل قيدار، سبحوا يا سكان الكهف، من رءوس الجبال يصيحون.

يجعلون للرب كرامة، وخمده يخبرون به في الجزائر.

الرب كجبار، يخرج مثل رجل مقاتل، يهوش الغير، يصوت ويصيح، على أعدائه يتقوى.

سكتُّ دائمًا، صمتُ، صبرت صبرًا، فأتكلم مثل الطائفة ما بدد وابتلع معًا.

أخرب الجبال والآكام، وكل نباتهن أجفف،وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات أجففهن...إلخ».

فظهر من هذا أن أشعيا عليه السلام أخبر أولا عن بعض الأشياء، ثم يخبر عن الأخبار الجديدة الآتية في المستقبل.

فالحال الذي يخبر عنه من هذه الآية إلى آخر الباب غير الحال الذي أخبر عنه قبلها.

والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد، التي هي في الشريعة المحمدية، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري إشارة إلى عموم نبوّته ﷺ.

ولفظ «قيدار» أقوي إشارة إليه، لأن محمداً ﷺ في أولاد قيدار بن إسماعيل.

وقوله: «من رءوس الجبال يصيحون» إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدّى في أيام الحج مصحوبة بالتلبية.

وقوله: «حمده يخبرون به في الجزائر» إشارة إلى الأذان الذي يدوي في أقطار العالم كل يوم خمس مرات.

وقوله: «الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل..» يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره خاليًا عن حظوظ الهوى النفسانية، ولذلك عبَّر الله عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروج الرب.

ثم بين مشروعية الجهاد بعد مرحلة الصبر والصمت..

البشارة التاسعة:

في الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا:

«سبحي أيتها العاقر التي لست تلدين، أنشدي بالحمد، وهللي، التي لم تلدي من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من نبي ذات رجل، يقول الرب:

أوسعي موضع خيمتك، وسرادق مضاربك، ابسطي، لا تشفقي، طوِّلي حبالك، ثبِّتي أوتادك.

لأنك تنفذين يمنة ويسرة، وزرعك يرث الأمم، ويعمر المدن الخربة.

لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تخجلين، فإنك لا تستحيين، من أجل أنكِ خزْيُ صباكِ تنسين، وعارُ ترمُّلك لاتذكرين أيضًا.. إلخ».

فالمراد بالعاقر مكة المعظمة، لأنها لم يظهر منها بني بعد إسماعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحي، بخلاف أُورشليم، لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون، وكثر فيها نزول الوحي.

وبني الوحشة عبارة عن أولاد هاجر، لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت.. ولذلك وقع في حق إسماعيل وعد الله هاجر «هذا سيكون إنسانًا وحشيًا» كما هو مصرح به في الباب السادس عشر من سفر التكوين.

وبنو ذات رجل عبارة عن أولاد سارة.

فخاطب الله مكة آمرًا لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر لأجل أن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها. ووفّى بماوعد بأن بعث محمدًا ﷺ رسولاً أفضل البشر، خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر، وحصل لمكة السعة بواسطة هذا النبي، وما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا، إذ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد ﷺ إلى هذا الحين.

البشارة العاشرة:

في الباب الخامس والستين من كتاب أشعيا هكذا:

«طلبني الذين لم يسألوني قبل، ووجدني الذين لم يطلبوني، قلت هأنذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمي.

بسطت يدي طول نهار إلى شعب غير مؤمن، الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم.

الشعب الذي يغضبني أمام وجهي دائمًا، الذين يذبحون في البساتين ويذبحون على اللبن.

الذين يسكنون في القبور، في مساجد الأوثان يرقدون، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس في آنيتهم.

الذين يقولون ابعد عني، لا تقرب مني لأنك نجس، هؤلاء يكونون دخانًا في رجزي، نارًا متقدة طول النهار.. إلخ».

فالمراد بالذين لم يسألوني والذين لم يطلبوني -العرب-، لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه.. كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾. [آل عمران: ١٦٤]

والأوصاف المذكورة في قوله: «الذين يقولون ابعد عنى.. إلخ» ألصق بحال اليهود، فكلا الفريقين أبعدهم الله واختار الأمة المحمدية.

البشارة الحادية عشرة:

في الباب الثاني من كتاب دانيال في حال الرؤيا التي رآها بختنصر ملك بابل ونسى، ثم بين دانيال عليه السلام بحسب الوحي تلك الرؤيا وتفسيرها..

وساق المؤلف نص الرؤيا وتعبيرها، ومضمـونها أن الله تعالى يبعث مملكة تسحق جميع الممالك وتثبت إلى الأبد، وقد منح الله هذه السلطنة لسيـدنا محمد ﷺ وجعل الصحابة يسيطرون في مـدة قليلة على جمـيع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفـسيرها مـتعلقين بها. . .

البشارة الثانية عشرة :

نقل يهوذا الحواري في رسالته الخبر الذي تكلـم به أخنوخ الرسول وعبارته في الترجمة العربية سنة ١٨٤٤ هكذا:

«الرب قد جاءفي ربواته المقـدسة ليدائن الجميع ويبكِّت جميع المنـافقين على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها، وعلى كل الكلام الصعب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون».

ومعلوم أن استعمال لفـظ الرب بمعنى المخدوم والمعلم شائع، وأن لفظ المقدس والقديس يطلق في العهدين القديم والجديد على المؤمن الموجود في الأرض.

فالمراد بالرب محمد ﷺ وبالربوات المقـدسة الصحابة، والتعبير عن مجـيئه «قد جاء» لكونه أمرا يقينيًا. .

فجاء مـحمد ﷺ في ربواته المقدسة فـدان الكفار، وبكت المنافقين، وخاصـة اليهود على تفريطهم في حق عـيسى ومريم عليهـما السلام وبعض عقائدهم الـواهية، والنصارى على تفريطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى عليه السلام.

البشارة الثالثة عشر :

في الباب الثالث من إنجيل متى هكذا:

«وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعـمدان يكرز في برية اليهود قائلاً: توبوا لأنه قـد اقترب ملكوت السموات».

وفي الباب الرابع من إنجيل متى هكذا :

«ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل.

من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.

وكان يسوع يطوف كل الجليل ويعلِّم في مجامعهم ويكرِّز ببشارة الملكوت. .».

ولما أرسل المسيح الحواريـين إلى البلاد الإسرائيلية للدعوة والوعظ وصَّاهـم بوصايا منها هذه الوصية أيضًا:

«وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين أنه قد اقترب ملكوت السموات» كما هو مصرح به في الباب العاشر من إنجيل متى ، ووقع في الباب التاسع من إنجيل لوقا.

وتكررت نفس الوصية للتلامـيذ السبعين كما هو مصرح به في البـاب العاشر من إنجيل لوقا، فظـهر أن كلا من يحـيى وعيـسى والحواريين والتلامـيذ السـبعين قد بشـر بملكوت السموات، وأن هذا الملكوت ليس واحدًا من هؤلاء، فيكون المراد طريق النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ ، فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الشريعة الخالدة.

البشارة الرابعة عشرة :

في الباب الثالث عشر من إنجيل متى هكذا:

«قدم لهم مثلا آخر قـائلا يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخـذها إنسان وزرعها في حقله.

وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتأوى في أغصانها».

فملكوت الســماء طريقة النجـاة التي ظهرت بشريعـة محمد ﷺ ، لأنه نشـأ في قوم أميين، فـبعث الله منهم محمـدًا ﷺ فكانت شريعتـه في ابتداء الأمر بمنزلة حبـة خردل أصغـر الشرائـع بحسب الظاهر، لكنهـا لعمـومهـا نمت في مدة قليلـة وصارت أكبـرها، وأحاطت شرقًا وغربًا. . .

البشارة الخامسة عشرة :

في الباب العشرين من إنجيل متى هكذا:

«فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعَلَة لكرْمه.

فاتفق مع الفعَلَة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرْمه.

ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخـرين قيامًا في السوق بطالين. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرْم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضوا.

وخرج أيضًا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك.

ثم نحو الساعة الحـادية عشرة خرج ووجد آخرين بطالين فقـال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟

قالوا له لأنه لم يستـأجرنا أحد، قال لهم اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرْم فتـأخذوا ما يحق لكم.

فلما كان المساء قال صاحب الكرْم لوكـيله ادع الفَعَلَة وأعطهم الأجر مبتدئًا من الآخرين إلى الأولين.

فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارًا دينارًا.

فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم دينارًا دينارًا.

وفيما يأخذون تذمروا على رب البيت، قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذي احتملنا ثقل النهار والحر.

فأجاب وقـال لواحد مهم: يا صاحب مـا ظلمتك، أما اتفقت معي عـلى دينار. فخذ الذي لك واذهب فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك.

أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي، أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟!

هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون».

فالآخرون أمة محمد ﷺ، فهم يقدّمون في الأجر، وهم الآخرون الأولون، كما قال النبي ﷺ: (نحن الآخرون السابقون).

البشارة السادسة عشرة:

في الباب الحادي والعشرين من إنجيل متى هكذا:

«اسمعوا مثلا آخر، كان إنسان رب بيت غرس كـرْمًا وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة، وبنى برجًا، وسلمَّه إلى كرَّامين وسافر.

ولما قرب وقت الثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين وسـافر ليأخذ أثماره. فأخذ الكرَّامون عبيده وجلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا.

ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك، وأخيرًا أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني.

وأما الكرَّامـون فلما رأوا الابن قـالوا فيمـا بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقـتله ونأخذ ميراثه.

فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه.

فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين؟!.

قـالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكًا رديًا، ويسلم الكرْم إلـى كرَّامين آخـرين يعطونه الأثمار في أوقاتها.

قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا .

لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره.

ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه، ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم» .

فرب البيت كناية عن الله تعالى، والكرْم كناية عن الشريعة وإحاطته بسياج، وحفر المعصرة فيه، وبناء البرج كنايات عن بيان المحرَّمات والمباحات والأوامر والنواهي. وأن الكرَّامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن كناية عن عيسى عليه السلام، ولا بأس بإطلاق هذا اللفظ عليه مجازًا، وقد قتله اليهود بزعمهم.

والحجر الذي رفضه البناءون كناية عن محمد ﷺ ، والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته ﷺ ، وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه ، وقريب من هذا المعنى قول النبي ﷺ : «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» .

البشارة السابعة عشرة :

في الباب الثاني من المشاهدات هكذا :

«ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطانًا على الأمم.

فيرعاهم بقضيب من حديد. كما تكسر آنية من خزف، كما أخذت أيضا من عند أبي. وأعطيه كوكب الصبح.

من له أذن فليسمع ما يقول الروح بالكنائس» .

فهذا الغالب الذي أُعطى سلطانًا على الأمم ويرعاهم بقضيب من حديد هو محمد ﷺ كما قال الله تعالى في حقه: ﴿ **وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** ﴾ . [الفتح: ٣]

وكوكب الصبح عبارة عن القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا** ﴾ . [النساء: ١٧٤]

البشارة الثامنة عشرة :

في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم إلى الأبد.. إلخ».

وفي الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا هكذا:

«لكني أقول لكم الحق، أنه خير لكم أن أنطلق، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته لكم.. إلخ».

وقد أكد المؤلف حقيقة مهمــة وهي أن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني، فإذن لا يبقى شك في أن الإنجيل ترجم اسم المبشَّر به باليوناني بحسب عادتهم في ترجمة الأسماء، ثم مترجمو العربية عرّبوا اللفظ اليوناني بكلمة (فارقليط).

وعلى هذا فاللفظ العبراني الذي قاله عيسى مفقود، واللفظ اليوناني الموجود ترجمة.

وسواء قلنا إن اللفظ اليوناني الأصل هو (بيركلوطوس) بمعنى قريب من محمد وأحمد، أو هو (بار كلي طوس) بمعنى المعزي والمعين والوكيل أو الشافع.. فكلها تصدق على محمد ﷺ.

وقد ناقش المؤلف مناقشة موضوعية كافة الشبهات التي أثارها القساوسة حول هذه البشارة[1].

* * *

(١) راجع ما ذكرناه سابقًا من مناقشة ابن تيمية لهذه البشارة أيضًا.

شاهد من أهلها

تكلم الأستاذ عباس العقاد في كتـابه (مطلع النور) عن طوالع ونبوءات البعثة المحمدية، وأورد بعض الأمثلة لباحثين من فضلاء الهند وفارس والأمم الشرقية التي لا تتكلم العربية، ونقل عن كتـاب باللغة الإنجليـزية ، ألفه مولانا عـبد الحق فديارتي، وسـماه (محـمد في الأسفار الدينية العالمية).

وشهد الأسـتاذ العقاد للـمؤلف بالصبر الطويل على توفـيق هذه العلامات وأشبـاهها، يستخرج منها الطالع بعد الطالع، والنبوءة إلى جانب النبوءة. .

وذكر الأستـاذ العقاد أن من الجماعـات التي عنيت عناية خاصة بهذه النبوءات جـماعة الأحمـدية الهندية التي ترجمت القـرآن الكريم إلى اللغة الإنجليـزية فإنها أفـردت للنبوءات والطوالع عن ظهور محمد ﷺ بحثًا مسهبًا في مقدمة الترجمة.

ثم لخص الأسـتاذ العـقاد بعض الطوالع من كـتاب (فـتح الملك العلام في بشـائر دين الإسلام) لمؤلفيه الأستاذين أحمد ترجمان ومحمد حبيب. .

وفي ختـام البحث عقب العـقاد قائلا: (فكل من راجـع العلامات في بشـائر النبوة في كتب الديانات، من أقدمها قبل موسى وعـيسى ومحمد عليهم السلام، إلى يومنا هذا يرى -ولا شك- أن العلامات التي لخصناها هنا من أقواها وأوضحـها وأقلها اعتسافًا واستكراهًا للألفاظ والتراكيب، على غير معانيها).

ثم يردف العقاد ذلك قـائلاً: (ولا نعلم أن قيام الدعوة المحـمدية قد اعتمـد عليها عند أحد من المسلمين الأولين، أو عند أحد من الذين دانوا بالإسلام في الزمن الحديث. .

وإذا فرضنا أن التخريج صحيح في كل ما أورده الباحـثون المتقدمون وغيرهم، فإن هذه العلامات لم تنفع أحدًا من الذين كانوا يقرؤون التوراة في عهد الدعوة المحمدية، ولم نعلم لها موقفًا من الدعـوة غير اللجاجة والمكابرة والاشتـداد في الإنكار على نحو لم نعلمه من الجاهليين والذين لم يطلعوا على حرف من كتب العهد القديم»[1].

وهنا مكمن الخطر، فإنه مصادم تمامًا لنصوص القرآن وحقائق التنزيل الشاهدة والناطقة

(١) مطلع النور ص ٣٣ ، ط كتاب الهلال سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

بتواصل التأكيد على النبوة الخاتمة، والبشرى بالنبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وأن أحبار أهل الكتاب يعرفون محمدًا بصدقه وأمانته ورسالته كما يعرفون أبناءهم نسبًا. .

وإذا كان العقاد قد أراد أن يتخذ من جوهر الرسالة وحقائق الإسلام حجة كاملة لإيمان المؤمنين حيث يقول: (وإذا قدرنا أن هذه العلامات لم ترد قط في كتاب سابق للدعوة المحمدية لم يكن ذلك مما يضير هذه الدعوة، أو يصدها عن طريقها، أو يسلبها وسيلة من وسائل الإقناع والذيوع التي اعتمدت عليها).

فإن ذلك لا ينفي، ولا ينبغي أن يصدَّنا عن وقائع الحياة وحقائق التاريخ. . فإنها شاهدة وناطقة بأن كثيراً من اليهود والنصارى آمنوا بالرسالة والرسول إذعانًا لهذه الطوالع وتلك البشارات، منذ فجر الإسلام وإلى اليوم والغد بعده. .

وقد أشرنا من قبل إلى القس أنسلم تورميدا، الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي، الذي كان مفتاح إسلامه كلمة (البارقليط).

وحسبنا اليوم القسيس إبراهيم خليل فيلبس، الذي أصبح الحاج إبراهيم خليل أحمد، وألف كتابًا بعنوان (محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن).

وإليك نماذج من صدر الإسلام لرجال فاضت دموعهم مما عرفوا من الحق وقالوا ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.

ورقة بن نوفل :

كان أحد أربعة من قريش تصادقوا أن يلتمسوا لأنفسهم الدين الصحيح، وهم:

- زيد بن عمرو بن نفيل .
- ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى.
- عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى.
- عبيد الله بن جحش بن رئاب، وأمه أميمة بنت عبد المطلب، وأخته زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين.

حضر هؤلاء يوم عيد لقريش يذبحون ويقدمون القرابين للأصنام، فخلا بعضهم إلى بعض وقالوا:

تعلمنَّ والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه، ما وثن يعبد لا يضُر ولا ينفع؟!

فخرج هؤلاء الأربعـة يلتسمون الحنيفيـة دين إبراهيم، فتنصَّروا إلا زيداً، لم يدخل في شيء من الأديان، بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده..

وصار ورقـة بن نوفل على علم بالنصـرانية وقـرأ كثيـراً من كتب أهل الكتـاب وتعلم العبرانية.

وعندما فـجأ الوحي سـيدنا محـمداً ﷺ في غار حـراء، ورجع إلى زوجه خـديجة قائلا: زملوني..زملوني، وقصَّ عليها ما حدث انطلقت به ﷺ إلى ابن عمها ورقة..

استـمع ورقة حديث رسـول الله، واستعاد فـكره عن الوحي وبشائر النبوَّة ومـا قرأ في الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب ثم قال في يقين وصدق -كما في صحيح البخاري-:

(هذا الناموس[1] الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك..!!

فقال سيدنا محمد: أو مخرجيَّ هم؟!

فقال ورقـة: نعم لم يأت أحد بمثل ما جـئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً).

وفي بعض الروايات أنه قال:

(سبوح، سبوح، هذا الناموس الذي أنزل على موسى).

وفي رواية البيهقي أنه قال:

(أبشـر ثم أبشر، فـأنا أشـهد أنـك الذي بشّر بك ابن مريم، وأنك عـلى مثل نامـوس مـوسى، وأنك نبي مرسـل، وأنك سـتؤمر بـالجهـاد بعد يـومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدنَّ معك..».

وفي رواية ابن إسحق:

(والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، لقد جـاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكذبنَّه، ولتُؤذينَّه، ولتخرجَنَّه، ولتقاتلنَّه [2] ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه).

ومما يدل على فقـه ورقة ووعيه العـقدي أنه قال: (أنزل على مـوسى) مع أن الذي قبل

(١) الناموس صاحب سر الملك وقيل: هو صاحب سر الخير ويقابله الجاسوس صاحب سر الشر.

(٢) الهاء في هذه الكلمات الأربع هاء السكت ينطق بها ساكنة.

محمد هوعيسى عليهم السلام. . !!

وذلك أن الرسالة والشريعة إنما هي لموسى، وكل من بعده مجدد لشريعته وداع إليها، وعيسى من بني إسرائيل لم يأت لينقض الناموس وإنما ليتممه. .

ويذكر الإمام السهيلي تعليلاً آخر فيقول[1] :

(وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب، لأن ورقة كان قد تنصرّ، والنصارى لا يقولون في عيسى إنه نبي يأتيه جبريل، إنما يقولون فيه إن أقنومًا من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حلّ بناسوت المسيح، واتحد به، على اختلاف بينهم في ذلك الحلول، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم عبارة عن العلم، فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ويخبر بما في غد. .

فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله، المدعين المحال، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى).

وأيًا ما كان فقد توفي ورقة بعد ذلك بقليل، وجاءت الروايات تفيد حسن منقلبه إلى الله تعالى، وقد ساق الإمام ابن كثير بعضًا منها[2] :

(أن خديجة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض). وهذا إسناد حسن ورواه الزهري مرسلاً.

وفي رواية لأبي يعلى: (وقد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، أبصرته في بُطْنَان الجنة، وعليه السندس).

وفي رواية للبزار: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين).

وهذا إسناد جيد وروى مرسلاً.

وقد ترحم الإمام ابن كثير على ورقة وقال : رحمه الله، ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وُجِدَ، وإيمان بما حصل من الوحي، ونية صالحة للمستقبل .

نجاشي الحبشة :

حين اشتد إيذاء المشركين لمن آمن بالله ورسوله في صدر الإسلام، أشارالنبي ﷺ

(١) الروض الأنف ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٣٩٧ . تحقيق د / مصطفى عبد الواحد .

على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة وقال: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه) .

فخرجوا متسللين سرًا ما بين ماش وراكب، حتى انتهوا إلى البحر وركبوا إلى الحبشة.

وقد هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين، وكانوا فوق الثمانين رجلاً سوى نسائهم وأبنائهم . .

وحاولت قريش استرجاع هؤلاء المسلمين، فأرسلوا وفدًا إلى نجاشي الحبشة، يحملون إليه الهدايا، ويستعدونه على المهاجرين . .

وكان الرجل حكيمًا وعادلاً، فأبي إلا أن يلتقي الجمعان في حضرته، ويستمع للطرفين، ويتعرَّف على حقيقة الموقف . .

فماذا كانت دعوى قريش؟!

قالوا: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردَّهم عليهم، فهم أعلا بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . .

وبماذا ردَّ المهاجرون؟!

لقد تقدَّمهم جعفر بن أبي طالب وقال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف . . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . .

فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . .

وعدّد عليه أمور الإسلام . .

فقال النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . . !!

وتحدَّث الروايات أن وفد قريش أراد أن يستثير النجاشي فقال له:

- إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. . !!
- إنهم يشتمون عيسى وأمه. . . !!
- إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا. . !!

فسأل النجاشي المهاجرين عن عقيدتهم في عيسى، فتكلم جعفر قائلاً: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

وقرأ عليه صدر سورة مريم . فرفع النجاشي عودًا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا .

وفي رواية : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت ـ هذا العود .

وفي رواية : والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيراً .

ثم قال: مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم. . انزلوا حيث شئتم. . والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه. .

وفي رواية : اذهبوا فأنتم سُيوم [(١)] بأرضي، من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحبُّ أن لي دَبْراً[(٢)] ذهبًا وأني آذيت رجلا منكم.

وأمر النجاشي برد هدايا قريش. . !![(٣)]

وهذا النجاشي[(٤)] يسمى أصحمة ومعناه بالعربية عطية، وما يقال أنه صحمة أو صمحة، فهو شاذ.

وظل هذا النجاشي سمحًا كريمًا مع المهاجرين، ودودًا لرسول الله ﷺ ، حتى إنه ﷺ كتب إليه أن يزوِّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة مع زوجها، فتنصر هناك وارتد.

وذات يوم خرج الرسول ﷺ إلى أصحابه بخبر من وراء الغيب ينعى إليهم هذا الملك العادل. .

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه،

---

(١) سيوم ـ بلغته ـ الآمنون . (٢) الدبر ـ بلغته ـ الجبل .

(٣) راجع الروايات وتخريجها من السيرة النبوية لابن كثير . تحقيق د / مصطفى عبد الواحد (ج٢/ ١٩ : ٢٣) .

(٤) النجاشي لقب لكل من حكم الحبشة كما أن كسرى لقب لحاكم الفرس ، وقيصر لقب لحاكم الروم، وفرعون لقب لحاكم مصر كلها ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية .

فخرج بهم إلى المصلى وكبَّر أربع تكبيرات.

وفي رواية: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه فقال: استغفروا لأخيكم.

عبد اللّٰه بن سلام:

أحد أحبار اليهود، كان اسمه في الجاهلية (الحصين)، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم (عبد الله).

وفي قصة إسلامه نلحظ مواقف لها دلالتها وأهميتها:

الموقف الأول:

روى زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال[1] :

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة خرجت أنظر فيمن نظر، فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب، وكان أول ما سمعته يقول: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).

فهذا موقف استطلاع وتأمل، فحين شاهد المحيَّا الكريم لسيدنا رسول الله أدرك النور الوضَّاء، ثم سمعت أذناه وصايا إنسانية نبيلة ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه..

فإن للحق جاذبيته، وللفضيلة إشعاعها، وللوحي إشراقه على ذوي النفوس الطاهرة.

الموقف الثاني:

في صحيح البخاري: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ، وهو في أرضه يخترف[2] ، فأتى النبي فقال: إني سائلك عن ثلاث لايعلمهنَّ إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال ﷺ : أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا.

قال ابن سلام : جبريل..!!

قال ﷺ : نعم

قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة..!!

فقرأ الراوي هذه الآية: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/١٧٦) طبعة المكتبة الإسلامية بطهران.

(٢) يجني من ثمارها.

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾. [البقرة: ٩٧]

أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

وأما أول طعام أهل الجنة: فزيادة [1] كبد حوت.

وإذا سبق ماءالرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت.

قال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله؛ يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني.

فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم؟!

قالوا: خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا.

قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟!

فقالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه.

قال ابن سلام: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله).

في هذا الموقف أخذ عبد الله بن سلام يستخدم علمه بالكتاب الأول، فلعله كان مذكوراً فيه هذه الأشياء الثلاثة، وحيث إن محمدًا لم يقرأ الكتاب ولم يجلس إلى معلم ولم يتصل براهب أو قسيس، فتكون إجابته عليها وحيًا إلهيًا.

ولما اطمأن ابن سلام إلى صدق الرسول صدَّقه وآمن به، لكنه لم يشأ أن يجهر بإسلامه قبل أن يجعل من نفسه حجة على قومه، فأفضى إلى الرسول أن يستنطق اليهود بمكانة ابن سلام وفضله بينهم، حتى لا يقدحوا فيه عند العلم بإسلامه، فهم قوم ينكرون الحق، ويكتمون الهدى، ويفترون الكذب..

ونجحت الخطة، فسألهم الرسول عن ابن سلام، واستنطقهم بشهادتهم له، وحين فاجأهم ابن سلام بإعلان الشهادتين لم يتورَّعوا أن ينقلبوا على رءوسهم ويقولوا: شرنا وابن شرنا..

الموقف الثالث: أخرج أبو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه عن عوف بن

(١) القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها.

مالك الأشجعي قال[1] :

انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود أروني اثنى عشر رجلا منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يحط الله تعالى عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه.

فسكتوا، فما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم، فلم يجبه أحد ثلاثًا، فقال: أبيتم فوالله لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا المُقَفَّى، آمنتم أو كذبتم.

ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفه، فقال: كما أنت يا محمد.

فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟!

فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك.

قال: فإني أشهد بالله أنه النبي الذي تجدونه مكتوبًا في التوراة والإنجيل.

قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه وقالوا شرًا.

فقال رسول الله ﷺ : كذبتم، لن يقبل منكم قولكم..

فخرجنا ونحن ثلاثة، رسول الله ﷺ وأنا وابن سلام، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) ﴾. [الأحقاف: ١٠]

هذا الموقف الثالث نرى أنه حنكة وسياسة رائدة من ابن سلام، ونظن أنه وقع بعد الموقف السابق وقبل اشتهار قصة إسلامه، فدخول الرسول وصاحبه إلى هذا التجمُّع لليهود في يوم عيدهم لا يكون إلا اتفاقًا مع ابن سلام كي يكون وقع إسلامه كبيرًا، وحتى يرى الجمع هذا المشهد الرائع..

وإذا كان الرسول في الموقف السابق هو الذي استنطق اليهود بشأن ابن سلام، فإن ابن سلام هنا هو الذي يستنطقهم بنفسه، كي تبرأ ذمته أمام الله ويعلن على الملأ شهادة الحق

---

(١) ذكره الإمام الشوكاني في تفسيره « فتح القدير » (١٩/٥) طبعة دار المعرفة .

وإسلام الوجه لله والإيمان بالرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة. .

منزلة عبد الله بن سلام:

وجمهور المفسرين على أن آية سورة الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام، لكن البعض تساءل: كـيف يكون هوالشاهد مع أن السورة مكية وإسـلام عبد الله كان في أوائل الـعهد المدني؟!

والجواب أن السـورة وإن كانت مكيـة إلا أن هذه الآية منها مـدنية، ومعـلوم أن السور القرآنية لم تنزل جـملة واحدة، وإنما تنزلت الآية والآيات فيقول الرسـول الكريم: ضعوها في مكان كذا من سورة كذا.

هذا ولمنزلة عبد الله بن سلام ومكانته في الجاهلية والإسلام وصدق يقينه بالله ورسوله، ووفائه بعـهد الله؛ بشَّره الرسـول بالجنة، واستقـامته على الصـراط، واستـمساكـه بالعروة الوثقى، حتى يلقى الله راضيًا مرضيًا. .

ففي صحـيح البخاري عن عامـر بن سعد بن أبي وقـاص عن أبـيه قال: (مـا سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهـل الجنة إلا لعبد الله بن سلام)(١).

وعن قيس بن عُبـاد قال: كنت جالسًا في مسـجد المدينة، فدخل رجل على وجـهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل مـن أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوَّز فيهمـا، ثم خرج وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة. .

قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لم يعلم(٢)، وسأحدثك لم ذاك؟

رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ، فقصصـتها عليه، ورأيت كأني في روضة -ذكر من سعتـها وخضرتـها- وسطها عمـود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السـماء، في أعلاه عروة.

فقيل له: ارقه. قلت: لا أستطيع.

فـأتانـي منصف(٣) فرفع ثيابي مـن خلفي، فرقيت حتى كنت في أعـلاها، فأخذت بالعروة.

---

(١) لم ينف أصل الإخبار بالجنة لغيره، فهو أخبر عن سمـاعه، أو أن التخصيص بالعدد في العشرة المبشرين لا يدل على نفي الزائد، أو المراد بالعشـرة المبشرين في مـجلس واحد، أو بلفظ البشارة، كـيف لا والحسنان وأزواج النبي وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان من أهل الجنة.

(٢) هذا القول تواضع أو أنه كره الثناء عليه بذلك.

(٣) بكسر الميم ويقال بالفتح: الخادم.

فقيل له: استمسك.

فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ.

فقال: تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك عروة الوثقى؛ فأنت على الإسلام حتى تموت..

وذاك الرجل عبد الله بن سلام.

وظل عبد الله بن سـلام وفياً للإسلام والمسلمين، وعرف بين الصـحابة بالعلم والإيمان، حتى ليروى:

لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوْصنا، فقال: أجلسوني.. إن العلم والإيمان من ابتغاهما وجدهما، فالتمسوا العلم عند أربعة رهط:

عند عـويمر أبي الدرداء، وعند سلمـان الفـارسي، وعند عـبـد الله بن مسـعـود، وعند عبـد الله بن سلام الذي كان يهـوديًا فأسلم، فـإني سمعت رسـول الله ﷺ يقول: (إنه عاشر عشرة في الجنة).

وتوفي عبد الله بن سلام سنة ثلاث وأربعين من الهجرة.

رضي الله عنه وأرضاه...

سلمان الفارسي:

قصة إسلام سلمان مجموعة مواقف للبحث عن الحق، تترفع عن المال والجاه، بل تصل إلى موقف، لا نعلم له مثيلاً، حيث يفقـد حريته، ويُباع عبدًا، ويعمل خادمًا.. كل ذلك كي يحقق هدفًا إيمانيًا يرضي به الله، ويحظى فيه بلقاء خاتم الأنبياء والمرسلين..

نشأته:

ففي صحيح البخاري عن سلمان الفارسي:

أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب..

وتفيض كتب السيرة بقصة إسلام ذلك الصحابي الباحث عن الحق[1].

فهو فارسي من أهل أصبهان من قرية يقال لها جَيّ[2].

وفي صحيح البخاري أنه من رامهرمـز، وفي رواية: ولدت برامهرمز وبها نشأت، وأما أبي فمن أصبهان..

---

(١) راجع الروض الأنف (١/ ٢٤٧)، والسيرة الحلبية (١/ ٣٠٣)، والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٩٦).

(٢) بفتح الجيم وتشديد الياء.

وكان أبوه مجوسيًا له في المجوسية قدم، حتى صار دهقان[1] قريته،وجعل ابنه يجتهد في المجوسية حتى كان قطن[2] النار. .

وذات يوم أرسله والده إلى ضيعة له يتولى شؤونها، فمرّ بكنيسة وسمع أصوات المصلين بها، فأعجبته صلاتهم وقال: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه.

ثم عاد إلى أبيه عشاء دون أن يعمل شيئًا في الضيعة، وقصّ عليه ما حدث، فخاف الرجل على ولده أن يترك دين آبائه فجعل في رجله قيدًا وحبسه في بيته.

صلته بالنصرانية :

لكن العقل الباحث عن الحقيقة يرفض القيد حسيًا كان أو معنويًا، ويتحيَّن الفرص ويذهب مع وفد من أهل الشام يسأل عن أفضل أهل هذا الدين علمًا. .

فدلّوه على أسقف في كنيسة، فجاءه يتعلم منه ويصلي معه، ويشاء الله أن يكون هذا الأسقف ممن أشار إليهم القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾. [التوبة: ٣٤]

يقول سلمان: (فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئًا كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال ذهب وورق؛ وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع. .) ويموت هذا الراهب، ويخلفه آخر على النقيض منه، زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة، دائبًا في العبادة، ويظل معه سلمان، ويحبه حبًا شديدًا، ويقيم معه زمانًا حتى تحضره الوفاة ، فاستشاره سلمان فيمن يقيم معه بعده، فقال الراهب: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه. . لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه فالحق به.

واصل سلمان مسيرته في البحث عن الحقيقة، فلقي صاحب الموصل، وأقام معه فترة حتى حضرته الوفاة، فاستشاره سلمان بمن يلحق بعده، فأوصى به إلى رجل من نصيبين.

ذهب سلمان إلى نصيبين فوجد صاحبه خير رجل، وما لبث أن نزل به الموت فأوصى به إلى رجل بعمورية من أرض الروم، وأقام عنده سلمان، واستقر به المقام، واكتسب بقرات وغنمًا يرعى بها. .

---

(١) كبير أهل القرية .

(٢) بفتح القاف وكسر الطاء ، الخادم الذي يوقدها .

ومرّة أخرى نزل بالرجل أمر الله، فسأله سلمان: إلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟.

قال صاحب عمورية: أي بني، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حَرّتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..!!

وصوله إلى يثرب:

ومات الرجل، ومكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث، ثم مرّ به نفر من تجار العرب فقال لهم:

احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه..

وحمله التجار حتى إذا بلغوا وادي القرى [1] ظلموه فباعوه عبداً لرجل يهودي، ويشاء الله أن يأتي ابن عم لهذا اليهودي من بني قريظة فيبتاع سلمان منه ويحمله إلى يثرب..

يقول سلمان: فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة.

فوالله إني لفي رأس عذق[2] لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه وقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة [3]، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي..!!

فلما سمعتها أخذتني الرِّعدة، حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك..

البحث عن البشارات:

هنا تبدأ مرحلة تحقيق وتثبت في حياة سلمان الدينية، ويراوده الأمل في قرب الوصول، ويحاول أن يستكشف الوصايا الثلاث التي حملها عن أسقف عمورية..

---

(١) مكان قريب من المدينة.

(٢) النخلة.

(٣) الأنصار نسبة إلى أمهم قيلة بنت كاهل.

يقول سلمان: (وقد كـان عندي شيء قد جمعته، فلما أمـسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقـباء، فـدخلت عليه فـقلت له: إنه قد بلغني أنـك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيءكان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم..

فقربته إليه.. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة..!!

ثم انصرفتُ عنه فجـمعت شيئًا، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جـئته فقلت له: إني قد رأيتك لاتأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها.

فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه.

فقلت في نفسي: هاتان ثنتان..!!

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقـد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليه شملتـان، وهو جالس في أصحابه، فـسلمت عليه ثم استـدبرته انظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم [1] الذي وصف لي صاحبي!؟..

فلما رآني رسـول الله ﷺ استدبرته عـرف أني أستثـبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبِّله وأبكي..

فقال لي رسول الله ﷺ : تحوَّل.

فتحوَّلت بين يديه فقصصت عليه حديثي..).

من أهل البيت :

شغل سلمان الرق حتى فاته مع الرسول الكريم بدر وأحد.

ما الحلّ إذن؟

كيف يتخلص من الرق، ويخلص للإسلام، ويصفو قلبه من هموم الحياة المادية؟

أشار عليه النبي ﷺ أن يكاتب سيده، فكاتبـه على ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين أوقية من ذهب.

(١) ذكر الإمام السهيلي مجموعة روايات في خاتم النبوة منها أنه كان كأثر المحجمة يعني أثر المحجم القابضة على اللحم حتى يكون ناتئًا ، وفي الخبر أنه كان حوله خـيلان فيهـا شـعرات سود ، وقيـل كالتفاحة أو بـيضة الحمامة أو ركبة العنزة . ويقع الخاتم بين كتفي النبي ﷺ عند أعلى منقطع الغضروف في الكتف (الروض الأنف ١/٢٠٦) .

وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان، فأحضروا له النخل وحفروا معه أماكنها، وقدم رسول الله ﷺ ووضعه بيده الشريفة، وعُتق سلمان، وكانت أول مشاهده غزوة الأحزاب، وأشار على المسلمين بحفر الخندق حول المدينة، وحين قسم الرسول ﷺ حفر الخندق بين الصحابة قال الأنصار: سلمان منَّا، وقال المهاجرون: سلمان منا.

فقال عليه الصلاة والسلام: سلمان منا أهل البيت . . !!

وآخى الرسول بينه وبين أبي الدرداء.

وسئل سلمان يومًا عن نسبه ؟

فقال: أنا سلمان ابن الإسلام. . !! ولذا وُصف بأنه سلمان الخير. .

وجمهور الباحثين وأهل السير على أنه عاش مائتين وخمسين سنة، وولاه عمر بن الخطاب العراق، فكان لا يأكل إلا من عمل يده. .

ومات رضي الله عنه بالمدائن سنة ست وثلاثين من الهجرة.

زيد بن سعنة[1]:

أحد أحبار اليهود، أسلم وحسن إسلامه، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة كان آخرها غزوة تبوك، تلك الغزوة التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (117)** ﴾. [التوبة: ١١٧]

ويشاء الله أن يموت زيد أثناء العودة إلى المدينة.

قصة إسلامه:

وفي قصة إسلامه نلحظ تتبعه للبشارات، وتعقبه لها في شخصية الرسول ﷺ ومحاولته التحقق من صدقها جميعًا.

ويحكي زيد فيقول: لم يبق من علامات النبوَّة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه :

- يسبق حلمُه غضبه.
- ولا يزيده شدَّة الجهل عليه إلا حلمًا.

فكنت أتلطف له لأن أخالطه وأعرف حلمه وجهله، فخرج رسول الله ﷺ يومًا من

---

(١) بضم السين وفتح النون ، وجاء في بعض الروايات « سعية » بفتح السين وبالياء بدل النون ، وفي كليهما بسكون العين. وراجع الترجمة في أسد الغابة جـ ٢ ص ١٣٦ .

الأيــام من الحـجرات ومعـه عليّ بن أبي طالب، فأتاه رجـل على راحـتـله كالبدوي فقال: يا رسول الله، إن قرية بني فلان قد أسلموا وقــد أصابتهم سنة وشدّة، فإن رأيت أنه ترسل إليهم بشيء تصيبهم به فعلت.

فلم يكن معه شيء..!!

قال زيد: فدنوت منه فـقلت له: يا محمد، إن رأيت أن تبيـعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا..

فقال: لا يا أخـا يهود، ولكن أبيعك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكـذا ولا أسمي حائط بني فلان.

فقلت: نعم.

فبايعني وأعطيته ثمانين دينارًا، فأعطاها الرجل..!!

قال زيد: فلما كـان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث خـرج الرسول ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة أتيتُه فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظـرت إلـيه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تعطـيني يا محـمد حقي؟! فـوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب لسيء القضاء مطل..!!

فنظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهــه ثم قال: أي عدو الله، أتقول لرسول الله ما أسمع، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك..!!

ورسول الله ينظر إلى عمـر في سكوت وتبسم ثم قال: يا عمـر، أنا وهو إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمره بحسن الاقتضاء وتأمرني بحسن القضاء..!!

اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا مكان ما روّعته..!!

قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني وزادني، فأسلمتُ.

نحن هنا أمام موقف جديد، فإذا كان ابن سلام أسلم تصديقًا بأن محمدًا أميٌّ لا علم له بالكتاب الأول حين سـأله عن أمور غيبـية لا تعلم إلا سمعًا، فـإن زيدًا هذا أسلم تصديقًا بالخلق العظيم للنبي الأمي، والملاحظ على كلا الموقفين أنهما مرًّا بتـجرية عملية، واستقراء لملامح الشخـصية، واحتكاك مـباشر بصاحب الدعـوة، حتى تتجلى الصورة واضـحة بلا خفاء، فإن المعاملة هي محك الخلق..

وبعد - فـهذه نماذج للبـاحثين عن الحق، الذين جمـعوا بين العلم والإيمان، ببـشارات وصىّ بها الأنبياء، واستحفظوها الأحبار والرهبان، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

وكان هؤلاء الأوفيـاء حجَّة على المكذبين الذين آثروا متاع الحيـاة الرخيص، ورضوا بأن يظلوا سدنة الباطل وأعداء الحق..

قال الله تعـالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيـدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43) ﴾. [الرعد: ٤٣]

وقال الله جل شأنه:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) ﴾. [الأحقاف: ١٠]

البشارات والتحريف:

بقيت كلمة مهمة وهي:

كيف يستـقيم القول بتحريف التـوراة والإنجيل مع أن المسلمين يستشهـدون على اليهود والنصارى بما فيها من ذكر صفات سيدنا محمد ﷺ؟

وقد أجاب الإمـام ابن حزم بأن كفـار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونـقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾.

وبدل كفار النصـارى الإنجيل فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعـالى بعضها حجة عليـهم كما شاء ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾.

واستـأنس ابن حزم لذلك بأن اليهـود قتلوا بعض الأنبيـاء وكف الله أيديهم عن آخرين منهم..

وأن الفعل قد يتشابه ولكن الحكمة تختلف، فـقد أغرق الله قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون نكالا لهم، وأغرق آخرين شهادة لهم.

وأملى لقوم ليزدادوا إثما وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلاً..

وأكد ابن حزم أننا نحتج عليهم بالبشائر بعد إثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ بالبراهين الواضحة الدامغة وليست البشائر دليلاً مستقلاً..

فالبـشائر التي أبقـاها الله تعالى في كـتبـهم هي تبكيت لليهـود والنصارى وفـضيـحة لضلالهم..» [1].

«والحمد لله رب العالمين».

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢١١) ط. دار الفكر ١٤٠٠ هـ.

المؤلف في سطور

دكتور محمد سيد أحمد المسير .

ـ أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة .

ـ عمل أســتاذًا مشاركًا ، ثم رئيـسًا لقسم اللغة العربيــة والدراسات الإسلاميــة في كلية التربية ـ فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٧ م.

ـ أعيــر أستاذًا في كليــة الدعوة وأصول الدين ـ جـامعة أم القرى بمـكة المكرمة من سنة ١٩٩٣ ـ ١٩٩٨ م .

ـ شارك في عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف .

ـ شارك في عضوية جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك .

ـ يشارك في عضوية الجمعية الفلسفية المصرية .

ـ يكتب المقالات في المجلات والصحف الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي .

ـ يشارك في البرامج الدينية الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم الإسلامي .

ـ كان الأول علـى طلاب الجمهـورية في الشهــادة الإعدادية الأزهريــة عام ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م ، من معهد شبين الكوم .

ـ كـان السادس عـشر علـى طلاب الجمــهورية في الـثانوية الأزهرية عـام ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م ، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .

ـ حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الشهــادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

ـ حـصل على الدكتــوراة بمرتبــة الشرف الأولى من جـامـعة الأزهـر عـام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ شارك في المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في رجب ١٤٠٨ هـ

ندوة الفقه الإسلامي في سلطنة عمان في شعبان ١٤٠٨ هـ .

الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الكويت ١٤٠٩ هـ .

الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي في بغداد من ٢٢ ـ ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ .

المؤتمر الإسلامي العالمي لمناصرة العراق المنعقد في بغداد في شهر ذي القعدة ١٤١٠ هـ « قبل الغزو » .

المؤتمر القومي الذي نظمه المركز العربي للإعلام بالقاهرة تحت عنوان «الإدمان قضية العصر» من ١٨ ـ ٢٠ من فبراير ١٩٩٠ م .

المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة أزمة الخليج الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة من ٢١ ـ ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ .

الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب في طهران بتاريخ ٩ ـ ١٢ من سبتمبر ١٩٩١ م .

المهرجان الإسلامي العالمي في الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين في سجون العراق من ١٩ ـ ٢١ يناير ١٩٩٢ م .

الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢ هـ .

ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، التي نظمتها مؤسسة إقرأ الخيرية بالتعاون مع جامعة الأزهر في ذي القعدة ١٤١٢ هـ. مايو ١٩٩٢ .

سافر مع وزير الأوقاف المصري ضمن وفد رسمي لزيارة دول الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢ م .

المؤتمر الثاني عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ ـ ٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ .

مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ .

الندوة العلمية « في قلب الشرق : قراءة معــاصرة لأعمال لِوى ماسنيْون » التي نظمها قسم الفلسفة بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة مع المركز الفرنسي للثقافة والتعاون يومي ١٤ ، ١٥ / ٣ / ١٩٩٩ م .

المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة تحت عنوان «الإســلام في عصــر العــولمة» بتاريخ ١٨ ، ١٩ مــن المحرم ١٤٢٠ هـ ـ ٤ ، ٥ من مــايو ١٩٩٩ م .

* * *

كتب للمؤلف

في العقيدة :

١ ـ في نور العقيدة الإسلامية .

٢ ـ أدب الحديث عن الله .

٣ ـ علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .

٤ ـ التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية .

٥ ـ الإلهيات في العقيدة الإسلامية .

في الفلسفة :

٦ ـ الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة .

٧ ـ المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه .

في الأديان :

٨ ـ المدخل لدراسة الأديان .

٩ ـ أصول النصرانية في الميزان .

١٠ ـ أوربا والنصرانية .

١١ ـ المسيح ورسالته في القرآن .

١٢ ـ عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني .

في الفرق الإسلامية :

١٣ ـ قضية التكفير في الفكر الإسلامي .

١٤ ـ الحوار بين الجماعات الإسلامية .

١٥ ـ مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية .

في السيرة النبوية :

١٦ ـ الرسول في رمضان .

١٧ ـ الرسول حول الكعبة .

١٨ ـ الرسول والوحي .

١٩ ـ الرسول وقضايا المجتمع .

٢٠ ـ الرسول والموافقات .

في الشريعة الإسلامية :

٢١ ـ محاورة تطبيق الشريعة .

٢٢ ـ نحو دستور إسلامي .

٢٣ ـ أخلاق الأسرة المسلمة .

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير ـ رحمه الله تعالى :

٢٤ ـ السنة مع القرآن .

٢٥ ـ السنة المطهرة .

٢٦ ـ إلزام القرآن للماديين والمليين .

٢٧ ـ دراسات قرآنية .

* * *

الفهرس

* * *



مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤

هذا الكتاب

يتواصل الحوار الإسلامي النصراني منذ نزول القرآن المجيد كاشفا حقائق الوحي الإلهي، ومهيمنا على ما سبق من كتب بالحق الصراح، والحجة البالغة، والقول الفصل في قضايا الألوهية والنبوة واليوم الآخر، ومناهج مسيرة الحياة الإنسانية الرشيدة...

وقد ساهم المؤلف -بتوفيق الله تعالى- في هذا الحوار، وقدم ثلاثة كتب هي:

- *أصول النصرانية في الميزان*
- *أوربا والنصرانية*
- *المسيح ورسالته في القرآن*

ونحن نقدم اليوم كتاب «المسيح ورسالته في القرآن» في طبعة جديدة متضمنا ثلاثة مباحث هي:

- *مفاهيم قرآنية في مواجهة التضليل التبشيري.*
- *القصص الحق الذي قصه القرآن المجيد حول المسيح ورسالته.*
- *دراسات حول البشائر قام بها علماء أجلاء، منهم من كان مسلما، ومنهم من أسلم بعد الدراسة والتمحيص.*

وقد أكد المؤلف قضيتين أساسيتين:

الأولى: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقدوا الإيمان الصحيح، وحرفوا الوحي المنزل، وطمسوا معالم الحقيقة الإلهية والنبوية في عقيدتهم.

الثانية: أن هناك طائفة من أهل الكتاب خرجوا عن هذه التقاليد البالية وكانوا أوفياء للحق فأعلنوا ولاءهم للرسالة المحمدية الخاتمة.

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤